





بنصف ساق

جمال شاهين

منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

٢٤

جمال شاهين

٢٠٢٥



بنصف ساق

٩

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

بنصف ساق

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



شارع سيدو عدنان

٩

عرفت صعبا عندما أصيب اثر انفجار في جنوب لبنان ، ونقل لبيروت جريحا ، وقد فقد الشاب نصف ساقه اليمنى ، عرفته أثناء تردده على عيادة الإغاثة في المخيم ، واهتممت به بتوصية من أبي المحامي والمناضل فارس وصديقه عم صعب ، وكان يتردد على العيادة لتغيير الضمادات ، وكان يعمل بوابا على احد مكاتب الجبهة في البراجنة المخيم ، ثم رحل للشام فجأة واختفت أخباره كغيره من الشباب المناضل .

حين فقد والدي ساقيه ، وقد فقدت زوجين في بيروت ، وكذلك أختاي الأصغر ، وضاع ولدي الوحيد ياقوت ذهب الوالد للعلاج في الشام ، وبعد تحسن صحته قليلا عاد لوطنه معاقا ومصابا وعدنا كلنا معه وكنت وأختاي نعمل في التمريض كما كنا في بيروت ، ذات ليلة استقبل والدي ابن عم لنا كان معنا أثناء الحياة في النضال والمعارك في لبنان ، وعلمنا منه أن صعبا عاد مثلنا للبلد ، وقد نجا من سجون البعث السورية كابن عمنا المناضل والسجين ، وان صعبا يبحث عن زوجة فكنت أنا المختارة ، وبعد رفض مؤلم من قبل أمي تزوجته وولدت منه ابنة ثم ابنا وترملت على اثر مقتله بحادث سيارة دامي .. وبعد موته اكتشفنا أن له ابنا آخر اثناء عيشه في بيروت .. جيفارا فارس

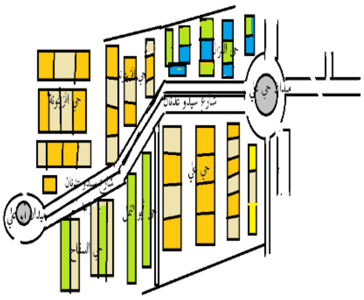


جمال شاهين



بين أربعة

بين أربعة أخوة كان الفتى صعب شفيق ، ولد صعب لأمه في حي أبو النمل ، الحي المتوسط بين حي علي وحي السفاح في شارع سيدو عدنان ، وسمي صعبا لتعسر ولادته ، وقد عانت امه معاناة صعبة حين خرج للدنيا ، فاطلق الوالد هذا الاسم عليه مع أن اسمه شفيق ، بدأ الطفل حياته في ذلك الحي من أحياء سيدو عدنان كسائر أطفال العالم ، دخل المدرسة مثل سائر الأبناء والأطفال لأن التعليم الابتدائي اليوم ومن عقود تعليما إجباريا والزاميا ، ومن المعروف أن التعليم الأولي من مسؤولية الدولة وحكومتها والتي تقوم به وزارة التعليم والمعارف حسب الاسم المعتمد في الدولة ، اجتاز الصفوف والفصول والسنوات الأولى بصعوبة ، لم يستهوه الدرس والقراءة فكان يتسرب من المدرسة ؛ ليعمل مع التجار أو محلات وورشات الحدادة والميكانيك مقابل دراهم معدودة أو عتال لتحميل وتنزيل سيارات البضاعة أو الخضار في سوق كبير ، ثم يعود للمدرسة عند انكشاف امر تسربه وهربه من المدرسة ، وفي



المرحلة الإعدادية زاد التسرب والهرب ، ولم يعد ينجح في مواد التعليم فأخذه شفيق إلى محل تصليح ثلاجات وغسالات وافران غاز لقريب له يتعلم منه المهنة ، فتعلم منه التدخين ، ثم ترك المهنة وانتقل للعمل في مطعم مأكولات ، يقدم الطعام من الحمص والفول والمسبحة والفلافل للزبائن والعمال في الورشات في نفس منطقة محل التصليح ، حتى ظن والده انه ما زال يشتغل عند بدر الدين قريبهم ، ثم علم وسكت بتركه محل بدر والعمل في مطعم حلمي القريب من محل بدر ، وكثيرا ما كان ينقل الطعام لمحلات الزبون كما هي العادة في محلات وورشات التصليح للسيارات والتصليح للأدوات المنزلية والنجارة ، حتى اصبح معروفا لكل المحلات والدكاكين ، ثم تبين لحلمي أنه يسرق من غلة المطعم لشراء الدخان والذهاب لمشاهدة السينما والجلوس على المقاهي ، فطلب منه الرحيل فرحل بكل هدوء ، وتعلم قيادة السيارات الصغيرة

كالتكسيات وسيارات السرفيس بين المناطق والأحياء داخل المدن ، ذات نهار كان يجلس مع احد شباب الكراجات من معارف منطقة التصليح في مقهى السوق يشربان الشاي ويأكلان الساندويشات فسأله عن فتاة عرفها أثناء شغله القديم مع حلمي فقال الزميل : المسكينة طلقها راجي، الملعون تزوجها كم شهر ثم زعل منها وطلقها .. وقالت لي قبل فترة " هل حواليك عريس " تزوجها يا صعب وسيكون مهرها ميسورا .

ـ ما تقصد بميسور ؟

ـ مبلغ بسيط .. أنا عندي امرأة وإلا تزوجتها مسكينة وغلبانة

ـ ولماذا طلقها راجي ؟

ـ بالضبط لا اعرف اذا أنت راغب بالزواج سأسعى لك بالأمر مع أمها الأرملة فكما تعلم والدها مات وهي صغيرة ؛ لذلك تبيع في الكراجات

ـ نعم سمعت ومن اجل ذلك كانت تبيع الدخان في منطقة الورشات سأفكر يا دحموس في القصة .. هي جارة لكم قلت لي مرة

ـ صحيح ! ولكن اللعين راجي سخر مني ولما ساعدته بإرضاء أمها لتقبل به غدر بنا

ـ لا تعرف سبب الطلاق

ـ لم اسمع منه ، سمعت من أمها انه يريدها أن تمارس الفسق بفلوس

قال مذهولا : معقول يا دحموس !

ـ معقول يا صعب !! الرجل قواد .. طلع الرجل داعرا خبيثا .. طبعا هو لا يعترف بذلك الفجور ؛ لكن اكثر من مصدر ذكر لي ذلك عنه

ـ أول مرة اسمع

ـ وهل نعرف نفسيات وأسرار كل من نعرف يا بطل ؟ فكر فيها يا محترم .. احسن من البصبصة على هذه وعلى تلك .. قلت لك لولا انني متزوج لتزوجتها

ـ وماذا تفعل هي الآن ؟

ـ رجعت تبيع الدخان والسجائر في منطقة الورشات

ـ أنا فعلا راغب بالزواج ..صار عمري اكثر من عشرين

ـ وانا من اجل ذلك فتحت الموضوع .. وسيكون مهرها قليلا ؛ لأنها مطلقة .. مهر بسيط مناسب لك ولشغلة السرفسة

***

بعد فترة قصيرة ذهب دحموس بصديقه صعب إلى أم رحاب ، واتفقا معها على زواج ابنتها وقبلت رحاب بواسطة دحموس ، وهي لها سابق معرفة بصعب حيث كان يشتري منها السجائر أثناء شغله في سوق الورشات والتصليح ، ولم يتدخل والده بمشروع زواجه قبولا أو رفضا فهو رجل بالغ عاقل عليه أن يعيش حياته ، ووجد بيتا في حارة أم رحاب بسيطا وأجرة رخيصة فسكن فيه ، واصبح صديقا اكثر لدحموس وهو سائق سيارة مثله ويعملان على نفس خط السرفيس وظلت رحاب تبيع الدخان في السوق ؛ حيث كانت لها عشة صغيرة كمتجر ومكان تخزين ، وهي معروفة لأهل السوق والورشات بالبياعة رحاب .

حدثت معركة الكرامة في غور الأردن بين العرب وإسرائيل ، واستطاع العرب من دحر وإفشال الهجوم باحتلال الضفة الشرقية بعد أن احتل المغتصب الضفة الغربية قبل اقل من سنة مضت ، وتحمس شباب العرب للقضاء على كيان إسرائيل الوحشي الذي احتل أراض من ثلاث دول عربية محيطة به بأيام معدودة ، وكان ممن تحمس للالتحاق بمقاتلي الثورة الفلسطينية صعب السائق والذي حمسه لذلك قريب له من جيله من حي النمل اسمه طراد فهد ، فهو ابن عمه وصديق الطفولة والمدارس ، كان يسهران سوية في مقاهي المدينة أو مقهى حي النمل ، فتحمس صعب للقتال والجهاد مع الفلسطينيين ؛ لأنه قد كان لطراد فهد وصعب شفيق عم قائد في حركة القوميين العرب التي ظهر اسمها عاليا بعد نكبة فلسطين الإسلامية عام ١٩٤٨ ، ونشطت سياسيا لتوحيد الدول العربية كدولة وحدوية واحدة .

نشطت الحركات القومية العربية بعد هزيمة العرب المدوية عام ٤٨ بنشوء وطن قومي للحركة

الصهيونية العالمية ، فكانت حركة القوميين العرب قد ظهرت في بيروت ، وبرز حزب البعث القومي السوري في سوريا ، وتبعه البعث العراقي في العراق ، ثم ظهرت الحركة القومية الناصرية بمصر بنجاح انقلاب جمال على الملكية المصرية ، وظهرت حركات فلسطينية بأسماء مختلفة ، واهمها حركة فتح في سوريا ولبنان والأردن ، فالشاب طراد تحمس للنضال تأثرا بعمه كايد ، وبدوره حمس ابن عمه صعبا الذي كان كلما جلس معه والتقاه يشكو من صعوبة الحياة وإرهاق العمل ودون فائدة ، فانطلقا يبحثان عن القائد كايد عارف الذي قيل لهما انه في غور الأردن في جناح عسكري لحركة القوميين العرب التي تحولت بعد هزيمة ١٩٦٧ إلى حركة فلسطينية مقاتلة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ورفعت معركة الكرامة عام ٦٨ معنويات العرب شرقا وغربا ، وارتفع تدفق شباب العرب للالتحاق بحركات فلسطينية مناضلة حسب ميول المحارب يمينا يسارا تأثرا بالمد القومي الناصري والبعثي والوحدوي ، ومن الغور أرسلهم القائد إلى معسكرات التدريب في سوريا .

***

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة تنظيم فلسطيني أسسه عام ١٩٥٩ عدد من الضباط الفلسطينيين في الجيش السوري على رأسهم أحمد جبريل وعلي بشناق وعبد اللطيف شرورو تحت اسم جبهة التحرير الفلسطينية ، ويحمل ا الاسم الحالي بعد اندماجه مع مجموعات القوميين العرب لتأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ثم انفصاله عنها في عام ١٩٦٨ واحتفظ بالاسم وأضاف القيادة العامة ، وعرف التنظيم انشقاقا كغيره من فصائل المنظمة الفلسطينية سنة ١٩٧٧ بقيادة محمد عباس وطلعت يعقوب الذين شكّلا جبهة التحرير الفلسطينية ، قامت الجبهة بعدة عمليات نوعية من الفلسطينيين في سوريا ولبنان كما أنها خاضت معارك ضارية ضد العدو الصهيوني في لبنان بالتعاون مع الجبهة اللبنانية أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.. ما زالت لها مواقع عسكرية في لبنان كالناعمة ، وفي سوريا تتمركز في معسكر في السويداء جنوب دمشق قرب الحدود الأردنية ، وهي تعتبر حليفا وثيقا للحكومة السورية

ويعتبر مجمع الخالصة التربوي والتعليمي في قلب مخيم اليرموك مقر قيادتها السياسية.

في العام ١٩٥٩ أسس أحمد جبريل مع علي بشناق تنظيماً تحت اسم جبهة التحرير الفلسطينية ومارس نوعاً من الإعداد العسكري القاسي بحكم تكوين جبريل العسكري كونه كان ضابطاً في الجيش السوري أعلنت هذه الجبهة عن نفسها سياسياً في ١١ نيسان ١٩٦٥، أي بعد أربعة أشهر من انطلاقة حركة فتح في مطلع نفس العام، حاول جبريل التوحد مع تنظيم فتح غير أن هذا الاندماج لم يصمد سوى بضعة أشهر.. وبتأثير حرب ١٩٦٧ تداعت ثلاثة فصائل فلسطينية هي شباب الثأر التي كانت بمثابة التنظيم العسكري الفلسطيني لحركة القوميين العرب بقيادة د .جورج حبش، وتنظيم أبطال العودة، وتنظيم جبهة التحرير الفلسطينية ليشكلوا معاً ائتلاف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي تسلم جبريل مسؤولية العمل العسكري فيه.. غير أن مسيرة هذا الائتلاف تعثرت نتيجة خلافات تنظيمية وسياسية، فانسحب أحمد جبريل مع مجموعته في ١٠ تشرين الأول ١٩٦٨ ولكنه تمسك بالاسم، يتمركز عناصر «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة بشكل أساسي في منطقة الناعمة جنوب بيروت بالإضافة إلى معسكرين في قوسايا داخل جبال السلسلة الشرقية للبنان على الحدود السورية ٤٥ كلم شرق زحلة في منطقة البقاع الأوسط وفي منطقة السلطان يعقوب في قضاء البقاع الغربي، وهم ينتشرون في الجبال وداخل كهوف وأنفاق، تعرضت مراكزهم للقصف عام ١٩٨٢ في منطقة قوسايا، وتأتي هذه المقرّات تحت علم وحماية المقاومة اللبنانية المتمثلة بحزب الله اللبناني التابع لإيران الخمينية. وعملت الجبهة على مساندة فصائل المقاومة الفلسطينية وتدريبها من خلال مواقعها المنتشرة في لبنان وسوريا.

***

بعد رحيل صعب وابن عمه طراد للالتحاق بثوار فلسطين لامت أم رحاب جارها دحموس على توريط ابنتها به فقال محتجا : انتم ألم تقولي البنت تريد عريسا بدلا من الخائب؟ .. وصعب شاب يشتغل مثلي على خط الحي وهو في سن الزواج .. لا اعرف يوما انه ثوري وحربي .. هو

الذي ورطه ابن عمه المنحوس طراد ، ولهم عم منخرط بحركات ثوار فلسطين من زمان باسم القومية العربية

ـ ما الحل ؟

ـ الحل يا أم رحاب الصبر والانتظار لعله يعود سالما من مغامرات الحرب

ـ الحمد لله أن البنت لم تحبل منه

ـ يا سيدة لن تتزوج ابنتك قبل طلاقها أو موته .. وانا آخر مرة أتدخل في زيجتها

ـ ونحن لن نطلب منك ذلك .. حظنا معك يقطع الرزق .. أول مرة أحضرت لنا رجلا سافلا ابن حرام ، والمرة الثانية أحضرت لنا ثوريا يريد تحرير فلسطين وجيوش عربية كبيرة انكسرت قدام الأعور وأخذ أراضيهم ونفس كروشهم

ـ يا أم رحاب هكذا الحروب .. هتلر هلك بعد انتصارات هزت العالم

ـ ملعون أبو هتلر .. أليس هو اللي دفع اليهود ليحتلوا فلسطين ويعرف العرب اليهود

ـ اليهود يريدون فلسطين قبل ولادة هتلر الملعون كما تقول كتب التاريخ .. هتلر يحقد على اليهود اكثر منا .. كان كما يزعمون يعمل منهم مشاوي ويطعمهم للكلاب

ـ معقول يا طحموس أم تسرح بي !

ـ اسألي أخاك أو أولاده ..

ـ ليس لي أخوة.. هؤلاء عقارب .. قبل أن تتزوج من صاحبك السافل قلت يا أخي خذ اليتيمة لاحد أولادك قال أولادي يريدون بنات متعلمة فهم متعلمون

***

كان عم طراد وصعب المناضل القومي تابع للجبهة الشعبية القيادة العامة المنشقة عن جبهة حبش وهي مدعومة من الجيش السوري فقادتها الأوائل من ضباط فلسطينيين يخدمون في الجيش السوري فأعطتهم سوريا البعثية قاعدة تدريب خاصة بهم في منطقة سورية جنوبية اسمها السويداء ولهم معسكرات أخرى في لبنان ؛ لأنهم كانوا ينشطون في لبنان والجنوب

اللبناني للتسلل إلى شمال إسرائيل ، فبعد فترة تدريب في سوريا قرب دمشق انتقل الشابان إلى معسكر تدريب في بيروت ، ثم انتقل لقاعدة عمليات للجبهة في جبال لبنان قرب صور يتنقل بينها وبين البقاع ، وكانوا يتعرضون للغارات الإسرائيلية باستمرار رغم اختفائهم في المغارات والكهوف الوعرة ، ونتيجة لإحدى الغارات أصيب بشظية انفجار صاروخ أدت إلى بتر نصف ساقه، ونتيجة لذلك نقل لمكتب من مكاتب المنظمة تلك في بيروت .

فلهم مكاتب إدارية في مخيم اليرموك في سوريا ، وفي برج البراجنة في بيروت وغيره من المخيمات الفلسطينية ، وهذه المنظمة ذراع سوري أو للنظام البعثي السوري الحاكم لسوريا من مطلع الستينيات ، استقر صعب بنصف ساق موظفا شبه بواب في مكتب الحركة كخادم على امل أن تتحسن صحته وتركب له ساق صناعية ، وكأي موظف أو مقاتل يحمل سلاحا روسيا ؛ لأن المنظمات من منتصف السبعينيات وهي تشتبك مع بعضها البعض ، تارة مع منظمات فلسطينية أخرى ، ومرة مع منظمات لبنانية طائفية ؛ لأن لبنان دخل في حرب أهلية بين طوائفه ، واشتركت فيها منظمات منظمة التحرير الفلسطينية ، وفقدت أرواح كثيرة نتيجة الصراع الدامي حتى اجتاح الجيش الإسرائيلي بيروت عام ١٩٨٢ للقضاء على الحركات الفدائية ، وكان من نتائج تلك الحرب خروج ألوف من المحاربين والثوار خارج بيروت ولبنان ، وظلت جماعة جبريل في حماية الجيش السوري الذي يتحكم في لبنان بنفسه والمتحالفين معه ومنهم القيادة العامة .

***

تتبنى الجبهة التوجه الوطني القومي اليساري والنفس الماركسي ، وتؤمن بالعمل بكل السبل من أجل تحرير كامل فلسطين، وتؤكد أن نضالها جزء من النضال العالمي ضد كل أشكال الاستعمار والعنصرية والإرهاب ضد الشعوب ، وهي تعارض أي تسوية سياسية مع إسرائيل. وهي تؤمن بأن الثورة المسلحة هي السبيل الوحيد لتحرير فلسطين الذي ترى أنه واجب وطني وقومي، مما جعلها تضم إلى صفوفها عناصر من أقطار عربية مختلفة وصل بعضهم إلى مراكز قيادية في الجبهة.. تتخذ الجبهة من دمشق مقرا لها، ولها نفوذ على المخيمات الفلسطينية خاصة

اليرموك في سوريا وبرج البراجنة في لبنان، وتوجد لها قواعد عسكرية في منطقة الناعمة جنوب لبنان، وتعتبر حليفا وثيقا لسوريا.

انضمت في البداية إلى منظمة التحرير الفلسطينية رغم وصفها بأنها مجرد انعكاس للأنظمة الرسمية العربية ، وسرعان ما انسحبت منها عام ١٩٧٤ احتجاجا على ما رأت أنه سعي من المنظمة –بقيادة ياسر عرفات– إلى إيجاد تسوية سياسية مع إسرائيل.

كذلك شاركت الجبهة في الحرب الأهلية اللبنانية في الأعوام ١٩٧٥ ـ١٩٧٧ .. وتميزت في ما عرف بحرب الفنادق التي تمكنت فيها الجبهة من السيطرة على منطقة الفنادق ببيروت، كذلك ساهمت في مقاومة الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢ وفي معارك تحرير الجبل وبيروت من القوات الإسرائيلية في العامين ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤؛ كما شاركت الجبهة في معركة طرابلس ١٩٨٣ بجانب المنشقين عن فتح العقيد أبو موسى ومجموعته وهي الحرب الأهلية الفلسطينية التي نتج عنها خروج ياسر عرفات ومجموعات فتح من مدينة طرابلس.

يتركز الانتشار الحزبي والإعلامي للقيادة العامة في مخيم برج البراجنة ضاحية بيروت الجنوبية ومخيم صبرا ، ويتلقى أحمد جبريل الدعم المالي واللوجستي من قبل الحكومة اللبنانية ومن الحكومة الإيرانية نفسها عبر ذراعها الأساسي في المنطقة حزب الله

***

حرب المخيمات هي المعارك التي دارت في الفترة الرابعة من الحرب الأهلية اللبنانية بين حركة أمل والجيش السوري والجيش اللبناني بالإضافة إلى بعض الفصائل الفلسطينية المدعومة من سوريا من جهة ضد قوات فتح الموالية لياسر عرفات ومقاتلي حركة المرابطون من جهة أخرى، حول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت .. دارت المعارك بين مايو ١٩٨٥ ويوليو ١٩٨٨ .

تحالف مع عرفات كلّ من فرقة المرابطون ، حركة السادس من شباط ، منظمة العمل الشيوعي في لبنان ، الحزب الديمقراطي الكردي ، وواجهوا تحالفًا قويًا مؤلفًا من حركة أمل الشيعية الحزب التقدمي الاشتراكي الدرزي ، الجيش اللبناني، بالإضافة إلى فتح

الانتفاضة المنشقة عن حركة فتح، منظمة الصاعقة ، جيش التحرير الفلسطيني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة.

في بداية حرب المخيمات التي استمر ت سنوات من حروب متقطعة تمكن صعب من دخول سوريا ؛ حيث حبس اربع سنوات متهما بالخيانة والهرب من آتون الحرب ، ثم رحل بعد موت عمه كايد وابن عمه طراد وقد تمكن من الحصول على عفو رئاسي ليعود إلى حي أبو النمل شبه محطم على وشك الموت .

فقامت الأسرة من إدخاله احد المشافي ليتعرض للعلاج والتطبيب المناسب ، فقضى اشهرا تحت العلاجات للأمراض المصاب بها بسبب الحبس حتى تحسن تحسنا ملحوظا ، وكان يعيش في بيت امه حيث ترملت منذ زمن قريب ، فتركه أخوته يعيش معها قبل أن يموت كم قيل

***

البحث عن زوجة

قضى صعب سنة وشهور تحت العلاج ؛ ولكنه تحسن تحسنا ملحوظا ، وبدأ أخوته الثلاثة يسعون لتزويجه امرأة تقبل خدمته ورعايته ، فأمهم عجوز اقتربت من الستين ، وركبت له ساق صناعية متطورة ؛ افضل من التي ركبت له في بيروت ، واصبح قادرا على الذهاب لشراء طعام الإفطار من احد مطاعم أبو النمل ، واحيانا كثيرة يرتاد اشهر مقهى في أبو النمل ، ولم يتمكن من وجود امرأة لتلك الساعة تقبل برجل مثله ، فهو لم يتجاوز الخمسين بعد ، وكان أخوته الثلاثة يضعون اللوم في هجر صعب البلد على ابن العم طراد الذي كان اكثر التصاقا به تلك الأيام ، وكان يعلمون أن صعبا يستسلم وينقاد بسهولة لآراء طراد من أيام المدارس ، وكلاهما كان ضعيف التحصيل المدرسي وتركا التعليم معا ، ذات مساء جلس على المقهى مع قريب له وجار يساعده أثناء ذهابهم للمقهى ، يلعبون الورق أو الشدة كما يقال ، وبينما هو يدخن ويشرب الشاي سمع احدهم يردد اسمه مع النادل فالتفت جهة السائل فعرفه فورا فصاح : أنا هنا يا دحموس تفضل



ترك دحموس النادل ، واتجه نحو طاولة صعب الذي نهض ليعانقه ويصافحه وهو يرحب فيه ، ثم سلم الدحموس على زبائن الطاولة وقال دحموس : الحمد لله على السلامة أولا بالعودة وثانيا بالعلاج وتحسن صحتك .. أنا سمعت انك قتلت

ـ أصبت بساقي فصرت بنصف ساق كما ترى ـ ومد رجله المصابة ـ والذي قتل ابن عمي رفيقي طراد وعمي الكايد قتل أيضا .. ويا هلا بدحموس

ـ أنا من قريب سمعت بوجودك في البلد .. من صاحبنا أيام السواقة ياسر أبو بصلة.. أتذكره؟

ـ لم انس أحدا يا صاحبي ـ أشار لدماغه ـ وقال : من دخل اسمه هذا الدماغ لا أنساه أبدا

ـ أنا تركت شغل السرفيس وعملت سائقا لشركة ثم لمدرسة خاصة وما زلت فيها المهم التقيت

به من أيام فقال أتدري أن صاحبنا الذي رحل عند الثوار ما زال حيا ولم يمت كما سمعنا وأشيع ولكنه عاد مستويا من الأسقام والأوجاع وبنصف ساق

قال : التقيت به منذ شهر تقريبا وكيف أنت ؟

ـ بخير والحمد لله .. هل تزوجت هناك وعندك أولاد؟

ـ لم أتزوج .. الحياة صعبة .. قضيتها بين حرب أهلية وحرب صهيونية ، ولما تحولت لسوريا اتهمت بخيانة الجبهة وسوريا وحبست اربع سنوات ولما خرجت عدت لأبو النمل

ـ حبست ! علمنا انك كنت تناضل مع المنظمات التابعة لسوريا

ـ الله الذي ينجي سواء من غارات إسرائيل أم من طوائف لبنان أم حقد سوريا علينا

ـ الحمد لله على السلامة وشكرا على الشاي جئت اطمئن عليك تابع لعبك

ـ جاري أخذ ورقي .. زوجت أحدا من أولادك أو بناتك

ـ اغلبهم يا صعب .. أنت اعزب هنا أيضا

ـ بفكر أتزوج .. ما أخبار رحاب ؟

ـ أمها ماتت بعد رحيلك بسنوات ، وتزوجت بعد طلاقها من قبل القاضي الشرعي ، وتزوجها شاب من ورشات المنطقة الصناعية ، وولدت خمسة على ما اعتقد بين ولد وبنت ؛ لأنها لما تزوجته تركت شغل الكراجات والتصليح ، وسكنت ربة بيت في حي زوجها ، ولم تعد تعرف أقاربها وأخوالها في حارتنا ، لم يكونوا خيرين معها ولا مع أمها .. واسمح لي بالانصراف عنوانك هنا

ـ بيت أمي أنا أعيش مع أمي وأنت تعرفه

ـ هل تعمل ؟

ـ لا اعمل .. إخواني يصرفون وينفقون عليّ وعلى أمي .. ويبحثون عن امرأة تقبل بي لخدمتي أنا وأمي فاذا وجدت امرأة حابة الستر مطلقة أرملة بدون ذرية حدثها عني اذا لم اكن متزوجا أتزوجها لابد من زوجة .. هناك بنات الهوى كثيرات فالحرب الأهلية يتمت بنات صبايا

ورملت نساء فزادت نسبة الفسق والدعارة أثناء السنوات العجاف وكن يقبلن من الحاجة بأي مبلغ بسيط

ـ هذه نتائج الحروب الطويلة زيادة الفقر وقلة الشغل .. فكثير من الناس يتجندون لأجل المال والحاجة يا عم صعب إلى اللقاء إن وجدت سأخبرك عندك تلفون في البيت

ـ تلفون الأسرة القديم لم يتغير وأهلا وسهلا بالصديق دحموس في كل وقت وحين

***

لما انصرف دحموس قال جار صعب : فعلا شاع خبر موتك مع ابن عمك طراد .. لأنه جاءت برقية لأهل طراد تخبرهم باستشهاده في معارك المخيمات مع حركة امل فقلنا إن صعبا قتل ولم يذكروك في البرقية

قال : لم اقتل يا أبا خالد ! أنا أصبت وقطعت نصف ساقي قبل الحرب الأهلية.. أصبت من غارة طيارة يهودية في جنوب لبنان ، ونقلت جريحا إلى بيروت ، ولما تحسن الوضع الصحي عملت حارسا وبوابا لاحد مكاتب الجبهة ، ثم ركبت لي ساق صناعية ، فالجبهة لها علاقات قوية مع سلطة لبنان ؛ لأننا كنا مدعومين من البعث السوري فلما قتل ابن عمي أثناء الاجتياح الصهيوني طلبت الانتقال لدمشق ، فلنا مكاتب في مخيم اليرموك الفلسطيني في دمشق .. وهناك بعد فترة وجيزة اتهمت بالخيانة وأنني كنت اسرب تحركات الجبهة لعناصر فتح وغيرها .. فحبست فلما مات عمي الكايد زعموا أن عفوا رئاسيا لحقني لأنني ابن أخ القائد الكايد فعدت إليكم هيكلا عظميا وبساق معفنة وجرب وأمراض لم اسمع بها إلا هنا ؛ وكما يقال عمر الشقي بقي وإخواني لم يقصروا معي صحة وتطبيب يا جاري يا أبا خالد .. لم استشهد مع طراد ولا مع عمي .. عمي لم يقتله اليهود قتل من عناصر حركة امل .. حركة شيعية مدعومة من سوريا

ـ آلمنا سقمك ، ولم يكن من إخوتك احد اعتقد انك محبوس في الشام

ـ لا احد يعرف ويعلم سبب الحبس ولا مدة الحبس .. الأموات هي التي تخرج غالبا من سجون البعث ؛ ولكن قدر الله هو الغالب

ـ أم محمود امك كانت حزينة جدا على عدم سماع أخباركم

ـ النجاة كانت معجزة يا عمي .. كل ما حولك خصوم حتى ممن معك

ـ لم تقصر الصحف في نشر أخبار لبنان ومعارك المخيمات وطرابلس وطرد آلاف المقاتلين من بيروت بالضغط الصهيوني

ـ يا عمي الذي له حياة وعمر يعيش ولو كل الأرض متفجرات حوله .. الألم يحز في النفس أن تموت بيد رفاق السلاح والثورة

ـ والله صحيح .. الحمد لله إخوتك رجال ولم يقصروا معك

ـ بارك الله فيهم أنا عدت لا املك مليما واحدا

***

يطلق القاضي الشرعي في حالات الضرورة ، كالتطليق للضرر المادي أو المعنوي الذي يصيب الزوجة ، الغيبة الطويلة للزوج كالسفر ، عدم الإنفاق عليها ، الهجر ، التعسف ، العيوب المنفرة ، الحبس الطويل للزوج كالحبس الجنائي أو الأسر ، وفقدان الزوج لسنوات واختفائه المجهول ، والتفريق بين الزوجين للشّقاق المستمر حيث يتعذر الإصلاح بينهما ، يختلف الأمر الشرعي عن القانوني ، ففي بعض القوانين المدنية يُعتبر التفريق القضائي فسخاً للعقد ، فيما تبقى حالات الشّقاق والضّرر هي السبب الأبرز للتفريق القضائي.

غيبة الزوج: إذا غاب الزوج وانقطعت أخباره وغاب عن زوجته مدة طويلة دون ترك مال لإنفاقها . . إذا كان الزوج محبوسًا مدة طويلة بحيث يتعذر على الزوجة البقاء معه .

ويمكن للقاضي أن يطلق الزوجة من زوجها في حالات متعددة ، مثل أن يكون الزوج غائبا لا يعرف مصيره ، كأن يكون أسيراً أو مختطفاً أو مسافراً ، أو أن يكون الزوج قد هجر زوجته مدة طويلة دون الإنفاق عليها أو طلاق كفاء النسب وهو في حالة زواج عربية من أعجمي بموافقة والدها وعدم رضى الآخرين من العصبة يطلق القاضي إذا رفع للقضاء أي قريب للفتاة من أبناء العمومة أو الإخوان اعتراضه على الزواج يمكن للمرأة طلب الطلاق عند اختفاء

زوجها لمدة سنة فأكثر، إذا أثبتت تضررها من غيابه، سواء كان مكانه معلومًا أو مجهولًا إذا كان مكانه معلومًا، يلزم القاضي الزوج بالحضور أو الطلاق خلال مدة محددة، وإلا تم فسخ العقد بعد حلفان الزوجة اليمين.. أما إذا كان مكانه مجهولًا، فيحق لها طلب التفريق بتقديم البينة وحلف اليمين ..وطلقت رحاب لغياب الزوج مدة طويلة ولا يوجد نفقة .

***

كان الأخوة الثلاثة لصعب يرغبون بجد تزويج أخيهم ، لأنه بحاجة لرعاية ؛ وكذلك أمهم بسمة ؛ لكن لم يكن سهلا على من تقبل به زوجا ، وهو لا يملك مالا ؛ إنما يعتمد على جيب إخوانه ، وهو رغم تحسنه الصحي محتاج لمتابعة طبيبة دائمة ومستمرة ؛ فكان الأكبر منه اسمه محمود يقول لأخويه محمد وجميل : ما العمل ؟ فنحن لا نستطيع تركه والتخلي عنه وهو في هذه العلل وهذه السن ؟

فقال محمد : طلبت من خالاتي الخمسة أن يجدن له أنثى ترضى بها .. وبينت لهن أننا سننفق عليه وعليها .. ولي اشهر انتظر جهدهن ، ولم تخبر إحداهن بشيء أو لم يفعلن شيئا

قال جميل : الأمر يحتاج لوقت .. فالمرأة التي ستقبل به سيكون لها مواصفات خاصة بها

قال محمود : مثل

قال محمد : أن تكون فقيرة وكبيرة أي فاتها قطار الزواج ولم يعد لديها امل بالزواج

قال محمود باسما : وأين سنجد مثل هذه الطبعة ؟

ـ كما قال جميل الأمر يحتاج لوقت

قال جميل : أنا طلبت واقترحت منه في آخر زيارة لأمي أن يبحث عن بنت من بنات معارفه المناضلين الذين تركوا النضال جرحى أو لأي سبب فهم اسرع للقبول به زوجا لبناتهم

قال محمد : ماذا رد على الاقتراح ؟

قال جميل : مدح الفكرة ؛ ولعله يتذكر أسماء بعضهم ، فله ذكريات مع ناس من بلدنا التحقوا بصفوف الثورة الفلسطينية بمختلف المنظمات والفصائل وعرف منهم الكثير في ساحات

المعارك اللبنانية

قال محمود على امل : وهل سيجد يا ترى ؟

قال محمد : هذه علمها عند الله وحده .. لابد أن نجد له عملا بسيطا يشغله مع أن دعمنا سيغطي حياته .. وعلى المرأة أن تتقبل عيشه مع أمنا

***

تلقى صعب رسالة من رحاب زوجته التي طلقته بعد هربه بحجة النضال ، وكانت قد وصلت للبيت باليد طرق احدهم البيت وأعطاه الرسالة واختفى فظن في البداية أنها مساعدة مالية من احدهم ، ورغب بعدم التعريف بنفسه ؛ لأنه يتلقى مثل تلك الرسائل والمغلفات ؛ فكانت من رحاب.. تسلم عليه فيها وتحمد الله على سلامته وانها علمت بعودته من لقاء مع دحموس جارها القديم ، وكانت تتعذر له عن طلاقها له والزواج، وأن لها أولاد وتتمنى له الخير والسلامة .

تعجب من رسالتها وهو لم يأمل بأي تواصل معها بعد كل هذه العقود من الفراق فقال لأمه :

رسالة من زوجتي السابقة رحاب

ـ وماذا تريد ؟ أهي لليوم بدون زواج؟

ـ تزوجت بعد طلاق من القاضي بسبب الغيبة ، وولدت خمسة من زوجها كما أخبرني وسيط الزواج بيننا السيد دحموس .. يبدو انه التقى بها وحدثها عني ، فكتبت هذه الرسالة ولا اعلم القصد منها

ـ لعلها مطلقة وترغب بالعودة

ـ لا اعتقد ذلك .. تكلمت مع زميل سجن خرج معي بعفو رئاسي ، كان مناضلا في بيروت وهرب إلى سوريا ، فوجدته مسجونا ووعدني بإيجاد زوجة ، فهو قد تزوج من ابنة عم لم تكن تزوجت من قبل وعندها مرض حرمها من الزواج

ـ ما هو هذا المرض ؟

ـ لم يفصح يا أمي

ـ خالتك سلمى سعت لك بذلك ووجدت فتاة ولم يحسم أهلها الأمر

ـ لماذا ؟

ضحكت وقالت بسخرية : لأنك عالة على إخوتك بعد .. مترددون بسبب أن إخوتك قد يتوقفون على الإمداد

ـ هذه لا تصلح للزواج .. وأنا افكر بالقيام بعمل

ـ ماذا ستعمل وأنت بساق ونصف ؟

ـ مئات مثلي يا أمي مصابون ويعملون .. فكرت بكذا مهنة .. مهنة لا تحتاج لكثير من الحركة

ـ هل هناك مهنة بدون ذهاب وإياب ؟

ـ يوجد يا حجة .. الدنيا مليئة بالمهن والأعمال.. كالعمل في مكتب بريد أو أجير في مكتبة فحركتها خفيفة أو محل ملابس في محاسبة الجمهور

***

رن مساء ليلة تلفون أم محمود ثم قالت : احدهم يريد الحديث معك

حمل نفسه عن الكرسي وتناول السماعة من يد امه وقال : آلو نعم

الصوت : كيف حالك يا صعب ؟

ـ مين ؟

ـ نسيت صوتي يا ملعون !

ـ أنا سامع مثل هذا الصوت

ـ أنا فارس مالك زميل عمك كايد

صاح دهشا : أهلا أهلا والله غشمت عليّ .. أنت لم تمت مع العم كايد قيل انك استشهدت

ـ لأ ، لم يكن لي نصيب في الاستشهاد .. أنا عدت قبل حرب المخيمات .. لقد أصبت في انفجار سيارة مفخخة ، ثم نقلت لسوريا ، ولم اعد صالحا للقتال ، فسرحت أنا وزوجتي وبناتي الثلاثة وعدنا إلى بلدنا هذا وأنت ما أخبارك ؟

ـ وانا أصبت كما تعلم يا أبا جيفارا قبل الاجتياح ! واعتقلت في سوريا مع قريبك نضال

ـ هو الذي اخبرني بانك حي وكنت محبوسا معه وعفا عنكم حاكم دمشق

ـ صحيح ! والله أنا كنت افكر انك مت مع عمي وابن عمي طراد الحمد لله على سلامتك كيف ساراك واسمع أخبارك ؟

ـ أنت تعرف بيت نضال

ـ عدنا للبلد معا وانشغلت في العلاجات وانا مستهلك اكثر منه ؛ ولكنه يتصل بي من حين لآخر ولما تحسنت صحتي إلى حد كبير يرغب إخواني بتزويجي

ـ حدثني نضال وانا اتصلت بك أولا لأطمئن عليك وثانيا عروسك عندي

ـ بتحكي جد

ـ جيفارا ما رايك فيها ؟

ـ عرفتها متزوجة هل ترملت ؟

ـ تعرض المستوصف للنسف فمات زوجها الثاني كالأول في الانفجار ونجت من الموت

ـ كانت ممرضة طيبة وخدومة يا أبا جيفارا

ـ أنت تعلم انني تزوجت يسرا اللبنانية وولدت لي ثلاث بنات أكبرهن جيفارا ولما أصبت ونقلت للشام لحقت بي أمها والبنات بعدها وكلهن أرامل تفضل بزيارتنا لتختار احداهن أنت صالح للزيجة

ـ أرجو أن أكون صالحا يا عم فارس .. خدمتني بنتك وزوجها أثناء المراجعات للمستوصف كان لها ولد واحد هل قتل هو الآخر مع أبيه ؟

ـ لا ندري هو لم يكن في العيادة عيادة المخيم ؛ ولكنه فقد بعد الحادث لعلك تذكر قصص الاختفاء قبل اجتياح شارون بيروت وصبرا وشاتيلا فيما بعد

ـ وهربنا إلى مواقع الجيش السوري

ـ اختفى تلك الفترة يا أخ صعب

ـ اعطني عنوانك لنتحدث وجها لوجه وأحدثك عن مرضي وعرجي قبل الحديث في الزواج أنت تعلم انني لم أتزوج كانت لي صداقات مع بنات بيروت

ـ اعرف بنات الليل .. كانت دميانة عشيقة وزوجة سرية معجبة بك اكثر كما قالت لي جيفارا ولعمك كايد

ـ كنت ادفع اكثر .. هات العنوان .. جيفارا لم ترها كانت تسمع مني عنها .

***

كان فارس ونضال ابن أخيه من سكان حي ميسون احد أحياء عاصمة البلاد ، ذهب للدراسة في منتصف الخمسينيات للدراسة في جامعات بيروت واشهرها الجامعة الأمريكية وأثناء دراسة القانون التقى بكايد عارف عم صعب وطراد ، ولما ظهرت الحركات القومية العربية الثورية في بيروت كانوا من اتباعها ، وهي حركات يسارية قومية وحدوية ، ولما تحولت تلك الجماعات إلى سياسة وعسكرة جمعوا بين الطريقين وبدئوا يشجعون الشباب القومي على التدرب على السلاح كما حصل لطراد وصعب حمية وبسالة للقضاء على الحركة الصهيونية في فلسطين العربية التي تقف حجر عثرة في توحيد العرب ، ولم يكن اتباع وانصار الحركات اليسارية كبيرا في الساحة العربية فكان السياسي أو العسكري اذا أصيب وعجز عن القتال والتسلل ينقل لوظيفه اسهل أو يعود للبلد الذي هاجر منه للثورة فهو قد اصبح ضعيفا وعالة عليها .

اخذ صعب تكسي أجرة جهة بيت فارس مالك وفعلا توقف التكسي أمام منزله في حي ميسون ورأى لوحة مكتوبا عليها بيت المحامي فارس مالك فضغط على الجرس وبعد دقائق سمع فتح البوابة وكانت امرأة تفتح له فعرفها على الفور فهتف : جيفارا جيفارا

سلمت عليه وهي ترحب به وقالت : أهلا أهلا بالمحارب الجريح أبي في انتظارك

تقدمته إلى غرفة الضيوف وهناك صدم بمشهد قطع رجلي فارس فانحنى وقبله وعيناه تدمع فقال حزينا : كانت إصابة صعبة اكثر مني

ـ اجلس تفضل بالجلوس

جلس على مقعد استقبال وقال : هانت إصابتي أمامك

ـ كله إصابة .. لا تحزن هذا درب صعب يا صعب ! رحم الله عمك كايد لما التقينا في الجامعة فأجاني بأننا من نفس البلد ومن نفس المدينة .. أنا أصبت يا صديقي أثناء معارك طرابلس بيننا وبين جماعة اليمين

ـ أنا كنت في السجن بتهمة الخيانة وإنني غادرت بيروت بدون إذن وسجنت عندهم والتقيت بقريبك نضال تقريبا بنفس الاتهام .. وأثناء ؛ بل قبل حرب المخيمات بقليل في لبنان شملنا عفو رئاسي ورمينا على الحدود ونحن لا نملك شيئا ..

ـ أنت لا تأخذ مخصصات إذن مثل نضال

قهقهة صعب وقال : نحن خونه كشفنا أسرارنا للكتائب الطائفية

ـ أنا ما زلت استلم راتبي من صندوق الدعم .. أين امك جيفارا ؟ قولي لها الضيف وصل .. إنها مريضة من أيام .. كما قلت لك عدت وتعالجت في الشام ولحقت بي زوجتي والبنات وتعلم أن بناتي تعلمن الثلاث التمريض ، فكلهن يعملن هنا في مشافي خاصة وجيفارا من فترة تركت العمل

ذهبت جيفارا لجلب أمها لتسلم على الزائر والذي حصل بعد دقائق ، فنهض صعب وصافحها وهي ترحب به وقالت بضعف : اعذرني يا صعب على ضعفي كان عمك كايد صديق فارس ومن اعز الأصدقاء وأصابنا حزن شديد لما نقل لنا خبر موته ؛ فكنا كأسرة واحدة رغم موت أسرته المتبقية في قصف همجي من مجرم إسرائيل شارون

قال فارس : آلاف مؤلفة هلكت في حروب لبنان التي توقفت في نهاية الثمانينات بجهود عربية جبارة ، ولن يهدأ بال إسرائيل ولسوف تشتعل

قالت الزوجة : أهلا بابن أخ كايد عرفنا بموت ابن عمك طراد فهد

ـ صحيح .. كيف أنت سيدة جيفارا ؟

قالت : الحمد لله .. هل من أخبار عن بنت عمك كايد ؟

قال مجيبا : ليلى ! منذ تركت بيروت لم اسمع عنها شيئا هي خرجت قبل هرب زوجها .. أكيد فارس أبوك يعلم التفاصيل اكثر مني فزوجها كان قريب من القيادة فهو متعلم ومثقف

قال : نعم ، خرجت لسوريا بحجة العلاج ، ثم اختفت أو انقطعت أخبارها عن والدها وتبعها القائد ناهض راتب ، تبعها بحجة رؤيتها والاطمئنان عليها ، وقيل ذهبا لتركيا ومنها لأمريكا وأما ابن عمك حسن الأصغر منها فأرسله عمك للدراسة في مصر للأوضاع المؤلمة في لبنان وذهبت معه ابنتي ليلى للدراسة هناك مثله ، وهناك تزوج مصرية من الإسكندرية ولم يعد للبنان ورجعت ليلى تحمل شهادة التمريض وعملت في مستشفى الجامعة الأمريكية وتزوجت كما تعلم شابا أمريكيا ، ثم عاد لأمريكا وقيل لنا مات ولم نتحقق من ذلك ، ولم نعد نسمع عنه شيئا والأصغر منهما مارسيل تزوجت احد شباب الجامعة وقتل مثل زوجيّ جيفارا ، ثم عدنا وها نحن نعيش معا .. طراد ابن عمك كان اعزبا لما التحق بالثورة

ـ أنا كنت متزوجا من فترة قصيرة ، فلم تلد مني رحاب .. هكذا كان اسمها ، وبعد غيابي طلقها القاضي وتزوجت وولدت من زوجها خمسة كما قيل لي ، وأما طراد ابن عمي فهد فكان خاطبا قريبة لنا ، ولم يتزوجا عندما انتقلنا للأردن قبل أن ننقل لسوريا ثم لبنان .. فلم أتزوج زواجا شرعيا وكذلك ابن عمي . وضحك ، ففهموا مغزى الضحكة

فعاد الحديث لفارس حيث قامت جيفارا بصب الشاي وتوزيعه فقال : تحدث معي نضال واخبرني بتحسن صحتك وانك عدت معه وانك تسأله عن زوجة ترعاك وترعى امك العجوز فتحدث معي بذلك وأعطاني رقم تلفون بيت امك

ـ لابد من زوجة هنا ، لا تنفع عادات بيروت .. الإنسان هنا بين أهله وأقاربه .. ومنذ حرجت من السجن لم اقرب امرأة ولا استطيع إلا بالزواج

قال الرجل : هذه ابنتي أمامك فكر فيها .. أنت تعرفها من أيام مراجعاتك لمستوصف الجماعة قرب برج البراجنة

ـ نعم السيدة .. أنا سيدة جيفارا بساق ونصف كما ترين ؛ لكنني استطيع المشي كالسابق ولم ابلغ

الخمسين بعد .. فاذا ترين أنني مناسب لك فستتفق

قال فارس : قال نضال انك لا تعمل تعيش باشا

ضحك وقال : لا أعيش باشا يا عم فارس .. عدت لا املك أجرة الطريق وأمراض كثيرة ألمت بي من السجن وضعف العناية بالسجناء .. قام إخوتي الثلاثة بإدخالي كذا مستشفى وعيادة حتى تحسن الحال كما ترونني .. وهم يبحثون لي عن زوجة ؛ كما ابحث أنا بطلب منهم .. وهم يصرفون عليّ وعلى أمي بكل شيء ، حتى انني اجلس على مقهى حي أبو النمل شارع سيدو عدنان على حسابهم .. فهم سينفقون عليّ وعلى أمي والزوجة .. وانا افكر بعمل مناسب لصحتي ولا يحتاج لجهد عضلي وحركة كثيرة

قالت الزوجة يسرا : وهل تضمن أن يظلوا ينفقون عليك بعد وفاة امك الطيبة ؟

ـ لو قلت ذلك مجازفة ؛ ولكني لم اطلب منهم أي نفقة أو أي علاج.. هم فعلوا ذلك بنفس طيبة من باب الفضل والإحسان يا أم جيفارا .. البيت للوالد والوالدة .. فلي فيه حصة مثلهم وهم أغنياء إلى حد كبير

قالت جيفارا : بدون زعل ما يشتغلون ؟

قال ضاحكا : ولم الزعل يا بنت الكرام؟! أخي الكبير محمود تعلم الهندسة ، وهو شريك في شركة إنشاءات من زمان ، واخي الأصغر منه درس أعمالا إدارية واشتغل في بنك ، واصبح مديرا لاحد فروعه ، وتزوج بنت احد مجلس الإدارة ، وانا فشلت في المدارس ، ثم رحلت للعمل مع الثورة والثوار كما يخبر الوالد فارس والأصغر مني يعمل كابتن طائرة مدنية فانا افشلهم مهنيا.. ولم يجبرهم احد على مساعدتي والاهتمام بي .. هم يريدون مني العمل ليس للمال بل للتسلية وقتل الوقت

قالت أم جيفارا : أنت من هذه الناحية مطمئن

ـ مطمئن جدا .. وفي النهاية سيكون البيت لي وحدي .. فهم يسكنون فلل واسعة أولاد وبنات لا أظن أن يطمعوا ببيت قديم مثل بيت أمي

قال : ولماذا لا تعيش امك معهم ؟

ـ أنا لم اسأل يا عم فارس.. فأبي لم يمت من عهد بعيد ؛ ربما من خمس سنوات أو اقل ..الذي فهمته أنها كانت ترفض ترك بيت أبي وكان عندها خادمة من عهد قريب سافرت لبلادها لأنني أنا قضيت اغلب الوقت منذ عدت في المشافي فقالوا بدل أن نستأجر خادمة نزوج صعبا ثم نرى هل يحتاج الأمر لخادمة مع الزوجة أم لا ؟ .. وحتى اغلب الأكل يأتي للبيت من المطاعم التي يتصلون بها

ـ أنت فعلا باشا يا صعب ! .. على كل حال أفصحت عن حالك وسنتشاور ..فنحن نعرفك من بيروت .. والقول الفصل يا ابن أخي لابنتي جيفارا .. وهي ما زالت قادرة على الإنجاب لم تصل لسن اليأس كما يقال

قالت جيفارا : أنا أتمنى أن اجد ولدا بدل الذي ضاع ولكن الأمر بيد الله .. حسنا يا صعب سأفكر ولن أطيل عليك بالجواب ! سنتشاور بما سمعنا

ـ وانا في الانتظار ، وسأحدث إخوتي بما حصل هذا المساء ، ولا اعتقد أن يرفض احدهم ..فهم لم يشرطوا شروطا عليّ في اختيار أي زوجة

قالت أمها : إخوانك يظهر انهم أناس أفاضل وأجواد يا صعب ! وهم يقدرون نضالك وإصابتك

قال : الحق لم اكن أتوقع هذا الاحتفاء والإحسان منهم وبارك الله فيهم

قال المحامي : الف بارك الله فيهم اذا صح تشخيصك لهم

قالت جيفارا : سأنظر في الأمر .. فانت صديق معروف لنا .. وعمك قال أبي كان احد أفراد العيلة

قال وهو ينهض قائما : اسمحوا لي الآن بالانصراف .. وبارك الله لكم في حسن الاستقبال في بيتكم وشرف كبير أن أكون ابنا لكم رغم عجزي ولست أول اعرج يتزوج

قال : اجل اجل يا صعب ! سنتشرف بك فانت ابن أخ غالي ـ رحمه الله ـ قتلوه غدرا مع كل

أفراد أسرته

ـ إلى اللقاء

وساقته جيفارا للبوابة الخارجية للبيت ، ولما لاحظت انه ركب في سيارة أغلقت الباب وهي تلوح له بيمينها

ولما عادت قال فارس مشجعا للقبول به : هل ستنتظرين خيرا منه ؟

ـ لم اكن افكر يوما أن أتزوج منه يا أمي رغم معرفتي به قبل زواجي من فايز والد ياقوت

ـ أنت عرفتيه مصابا وجريحا وبنصف ساق

قالت أمها بصفون : فكري بعمق .. فالارتباط برجل بعلة شاق على النفس وستعيشين مع حماة عجوز

قالت : هذا الذي يدفعني للتردد وربما الرفض ولكن الأعمار بيد الله

قالت الأم : وليس له عمل .. أي زعل مع الأخوة سيتركونه ويتخلون عنه

قال فارس ممتعضا من أفكار يسرا   : تعود للعمل يا يسرا .. ابن منه خير من الدنيا ومن فيها

قالت الأم بتحد بين : واذا لم تلد منه يا فارس

قال : الطلاق الحل طبعا اذا أصرت على الولد .. وكثير من الناس يتزوجون ولا يلدون ..دعي الفصل لها ؛ ليس لنا ولأهوائنا .. لعل زواجها يشجع الآخرون لزواج الأصغر

***

جيفارا

وجد صعب شقيقه الأكبر محمود في بيت والديه وبعد ترحيب قال محمود : تقول أمك انك ذهبت لمقابلة صديق لعمنا كايد لديه بنات في عمر الزواج

قال موضحا : قابلت السيد فارس مالك عرفته في بيروت زميلا ورفيقا للعم كايد رحمه الله وجدته بدون سيقان يمشي على عربة مقعدين

وروى باختصار قصة علاقته بعمه وتعرفهما على بعض ، وقص حكاية تعرفه على ابنته الممرضة وقصة نضال رفيقه في النضال والسجن ، ولما انتهى بما يذكره من اللقاء قال محمود : تركت النتيجة عند البنت

ـ نعم طلبت منها أن تفكر بشكل جدي بالارتباط بي

قالت أمهما : متى سيردون عليك ؟

ـ خلال أيام حتى لا أظل انتظر

قال محمود : هل أحسست بقبولهم لابنتهم الزواج منك ؟

ـ الأب أكثرهم رغبة وهو الذي اتصل بي ، الأم لم يظهر حماسها لزواجي من ابنتها ؛ كأنها لا ترغب بزواج ابنتها مني أو من غيري .. والبنت لها رغبة بتكوين أسرة .. وتبدأ من جديد ؛ وكأنها تحسب حساب أمها .. فأمها ليست من بلادنا .. عرفها فارس في بيروت ؛ لعلها لبنانية أصلية أو عربية ثورية

قال محمود : اصمت قليلا واصبر .. لا تلح عليهم بالطلب ..دعهم يناقشون أمرهم بدون ضغط وإلحاح .. ولا تبدو عجولا في انتظار الرد .. حتى اذا حصل الاقتران لا تبدو أمامهم عجولا ، ولم تترك لهم وقتا للتفكير

قالت : كلام أخيك جيد ! مرات اللهفة على الشيء تفسده

ـ لست عجولا .. هل وجدتم لي من عمل اسلي نفسي به وأخفف عنكم من أعباء النفقة عليّ

قال محمود : لا تهتم بنفقتنا عليك .. فهي شيء بسيط نقدمه لأخينا ؛ فانت ضعيف وتستحق

العون وواجب علينا الاهتمام بك بغير من وأذى .. نحن كما قلت لأمي نريد لك عملا سهلا وغير مرهق ومتعب لصحتك .. هل خطر على بالك شيء؟

ـ الخواطر كثيرة ؛ ولكن لم يرسُ الخاطر على بر

قالت امه : حدثني أبو باسم عن عمل لا يحتاج إلى جهد في شركته

قال محمود : ما هو العمل الذي حدثك عنه شقيقك أبو باسم ؟

ـ حارس على بوابة الشركة الرئيسي .. يتأكد من هوية الداخل ويفتح له الباب

قال محمود : مهنة فعلا سهلة كم ساعة عمل وهل معه غيره ؟

ـ تبدأ من الساعة السابعة صباحا حتى السادسة مساء ما عدا يوم الجمعة .. سيجلس في كوخ صغير ينظر بطاقات الداخلين ثم يضغط على زر فتفتح البوابة

قال محمود : مهنة سهلة يا أمي ! ولكنها شفقة ومساعدة له .. ولا أرى ذلك مناسبا لنا يا صعب .. هي نوع من المساعدة باسم المهنة .. نحن نريد مهنة أن تكون فيها عزة نفس ؛ فهو ليس بحاجة لمال .. فالمال الذي نقدمه فيه كفاية ويمكننا زيادته بعد زواجك يا أخي

قالت مقرة : هي فعلا مهنة عطف وإحسان

ـ فلسنا بحاجة إليها اشكري الخال .. سنجد عملا يناسبه

قال : فكرت بإقامة كوخ بيع على ناصية الشارع بترخيص من البلدية

قال محمود : كوخ ماذا تبيع فيه ؟

ـ مأكولات مغلفة للمارة والتلاميذ وسجائر وصحف يومية

ـ تحتاج لموردين

ـ اعرف منهم الكثير أيام زمان

ـ لك اكثر من عشرين سنة في خارج البلد

ـ لا اعتقد انهم اختفوا كلهم .. أتعرف أحدا في البلدية يصدر لي تصريح عمل وبناء للكوخ

ـ سأفكر بالمشروع الصغير واعتقد أن البلدية التي هي تعين لك مكان البناء ؛ بحيث لا يؤثر

على مرور المشاة كما نشاهد في شوارع المدينة

باشر محمود شفيق بزيارة مدير منطقة شارع سيدو عدنان ؛ لأن لكل منطقة في المدينة دائرة بلدية خاصة بها ، فقابل المدير وشرح له المطلوب ، فكتب له ورقة لمن يهمهم الأمر ، وخلال أيام أعطي كتابا وترخيصا وإذنا بإنشاء الكوخ وبيان حجمه ومساحته ، وعليه بعد إتمامه العودة



للدائرة لإجراء الكشف ومباشرة العمل ، وعادة نظام الدولة يقدم كل مساعدة إنسانية للمعاقين وأصحاب العاهات ؛ ليعشوا عيشا كريما ويمكنهم الحصول على دعم مادي بسيط من دوائر مختصة ولما انتهى بناء الكوخ على رصيف شارع سيدو عدنان ، وأخذ صعب الترخيص النهائي ، وكان قد اتصل ببعض معارفه القدامى الذين يعملون في شركات إنتاج الحلوى والأطعمة الرخيصة الثمن بالنسبة للأطفال ، وهم في طريقهم للمدارس وغيرها ، ثم عمل منصة لبيع الصحف التي يوفرها احد الموزعين في المنطقة ، وكان نضال قد اتصل به لزيارة عمه فارس بعد الفراغ من عمل الكوخ .

ركب سيارة أجرة إلى بيت فارس في حي ميسون ، وفتحت له جيفارا الباب وأدخلته لغرفة الضيوف ، وعانق فارسا وتحدثا قليلا عن الصحة والأحوال، ثم حضرت أم جيفارا وأحضرت الفتاة الشاي وقدمته للجميع ثم قال صعب : الحمد لله أنشأت كُشا صغيرا لبيع الصحف والمأكولات للمارة . وبعد أن بين الإنجاز لمشروع العمل القريب من البيت سأل فقال : هل تشاورتم بأمري ؟

مدح فارس الشاب ورحب به زوجا لابنته ثم قال : ولأمها يا صعب بعض المطالب احب أن تسمعها منها

أطفأت الأم سيجارتها ، ورشفت رشفة شاي ، وبعد وضعها الفنجان قالت بعد نحنحة خفيفة : الزواج سنة الحياة يا ابني يا صعب ! .. المرة الماضية سمعنا عن ظروف حياتك وعلاجك من

إخوتك وتفضلهم الكبير عليك فكانوا نعم الإخوة .. وكما تعلمنا الحياة ؛ ليس هناك شيء دائم ومستقر .. والزمن قلاب ، فقلنا أن هناك أشياء نرغب بها للبنت قبل الارتباط

تنحنح وقال وهو يهز رأسه : أنا اسمع تابعي ما هي المطالب ؟

رشفت جرعة شاي ثم أشعلت سيجارة من جديد وقالت : بعد نظر وتفكير رأينا أن تعيش البنت بدون أمك .. أنتما وحدكما خشية المشاكل والمناقرات بينها وبين امك ؛ كما يحدث بين الحموات والكنات .. هذا يحدث يا ابني يا صعب !

قال مقرا : صحيح يحدث ! لا احد ينكر ذلك ؛ لكنه يختلف من بيت لآخر وثانيا

ـ ثانيا .. فحل هذه المشكلة سهل بشراء شقة تكتب باسمها

ـ ثالثا

ـ سلامتك

نهض قائما ومتضايقا وقال : سامحوني يا عم فارس سأفكر بشروطكم واعرضها على أمي وإخواني

قال فارس : مالك مستعجل وزعلان ؟

ـ ورائي شغل سأبعث جوابنا إلى نضال قريبكم

***

بعد ساعة من مغادرة صعب وصل نضال لبيت فارس ، واخبره برفض أهل صعب شروط أم جيفارا وانتهى الموضوع ، فلما خرج نضال خرجت جيفارا تودعه وعند الباب قالت : نضال أوصل رسالة مني لصعب عليه أن يصبر قليلا .. هذه شروط أمي ؛ ليرفض الزواج مني سأدبر الأمر .. فليصبر قليلا

ـ أنت راغبة به

ـ نعم ، وكذلك أبي .. لم نستطع تغيير أفكار أمي نحتاج لوقت

ـ حسنا سأزوره وانقل له كلامك

ذهب نضال لبيت صعب ، ونقل له رسالة جيفارا فارس وبأنها راغبة بالزواج منه ، وكذلك والدها ؛ وإنما الشروط التي عرضت عليه هي شروط والدتها ، وتطلب منه الانتظار بعض الوقت ، ثم قال موضحا قوة امرأة عمه : كما رأيت .. عمي عاجز عن القيام بواجباته بسبب الحادث وسقوط ساقيه فيحتاج لمساعدة سواء في الحمام والاغتسال أو الانتقال للسرير .. فهو ضعيف ، ولا يرغب بالطلاق لضعفه ومن اجل خاطر البنات ، وحدث سابقا قبل حدوث موضوع الزواج كاد أن يحدث الطلاق لولا تدخل البنات وتهديدهن بتركهن للبيت والعيش بدونه .. فأمهن تستقوي بهن عليه .. اصبر قليلا وانا سأساعدك بالزواج من غيرها إن لم ينته الموضوع خلال هذه السنة ..

ـ البنت تريدني أكيد أم تدلس عليّ

ـ صدق أنها وهي تودعني عند الباب طلبت مني أن أخبرك بقبولها لك ؛ لكن عليها إرضاء أمها للبقاء عند أبيها .. فهن يعملن ويتركن الوالد معها وتحت رعايتها .. ومصيرهن الزواج في يوم من الأيام

ـ سأقبل بالصبر لأنني أحببت العيش مع تلك الفتاة .. فأنا عرفتها في مستوصف الحركة في بيروت

ـ قالت لي ذلك وانها تعرفك جيدا وكنت تذهب للعلاج في مكان عملها قرب المخيم

***

روى لأمه وشقيقه محمود ما حصل معه ، ونقل اليهم رسالتها الخاصة على لسان نضال فقال محمود : هل ترى فائدة من الصبر ؟

ـ والله أنا أحببت الزواج منها .. فبيننا معرفة بيروتية بسيطة ، وتعرف حالتي الصحية وعليّ أن اصبر وارى ماذا ستفعل ؟ .. من المرة الماضية ادركت أن والدها يريدني زوجا لابنته ، ولم اكن اعرف شراسة وقوة الزوجة ، ولكن نضال وضح لي ذلك بسبب عجزه وعاهته .. فهو محتاج لها ولبناته .. فحدث أنه كاد أن يطلقها قبل لقائي بهم وتعرض لتهديد من البنات بالتخلي عنه

والعودة لبيروت

قالت الأم بحسرة على ضعف الرجل العاجز : لا حول ولا قوة إلا بالله .. فعلا موقفه أمامهن ضعيف .. العلة والعجز داء كبير

قال محمود : صبر جميل يا عم صعب كيف العمل والكشك ؟

ـ لا بأس يا أبا شفيق .. الإنسان مثلي يراه مكانا للتسلية والربح البسيط

ـ هكذا يجب أن تبقى نظرتك للعمل فيه .. فنحن الله منعم علينا ومتفضل فلن نبخل عليك وعلى وزوجتك

قالت الأم : بارك الله فيكم .. ومن لم يكن فيه خير لأهله فلا خير فيه

ـ شكرا يا أمي نحن نبحث عن رضا الله تعالى علينا وأن يبارك في أموالنا

***

اتصل دحموس بصعب راغبا بلقائه ، فذكر له عنوان الكوخ ، فدعا له بالتيسير وقبل غروب الشمس وقبل إغلاق الكوخ مر عليه ، فرحب به واغلق الكوخ ومشيا لبيت أم محمود التي رحبت برفيق ابنها القديم ، وقدمت لهما الشاي وبعض الطعام وقال دحموس : لقد وجدت لك صبية يتيمة قد تقبل بك زوجا وقرينا لها

وذكر له كيف تعرف عليها عن طريق رفيق عمل ، شكره صعب وطلب منه الانتظار وقص عليه قصة العم فارس وجيفارا وأمها فقال : على كل حال تابع الأمر ما دمت معروفا للفتاة سابقا ، ووالدها صديق المرحوم عمك كايد ويقال وجه تعرف خير من الف وجه لا تعرفه .. وما دامت الفتاة أرسلت رسالة شفوية مع نضال قريبها فهي راغبة فيك .. والأب كما قلت عاجز وضعيف ، وهو بحاجة لأسرته فلا داعي لتخريب بيت لإعمار آخر .. لابد أن تجد الفتاة حلا مع أمها وهي الأدرى والأعلم بها يا صاحبي .. وواجب عليّ مساعدتك فلا انسى تلك الأيام على خط السرفيس

ـ أصيل أصيل يا أبا زايد

ـ العيش كان مهما بيننا وعلى كل حال عندما تيأس من الزواج من جيفارا هذا اسم المناضل العالمي المعروف

ـ هؤلاء اليساريون يعظمون تلك الأسماء والقامات في بلادها ويرونه بطلا كما قلت

قال دحموس : اسمح لي بالمغادرة سلم على الحجة الفاضلة وانا في انتظار هاتفا منك لأتابع البحث من جهتي

***

إرنستو تشي جيفارا المعروف والمشهور عالميا باسم تشي جيفارا، أو التشي، أو ببساطة تشي، ثوري كوبي ماركسي أرجنتيني المولد ، وهو طبيب وكاتب وزعيم حرب العصابات وقائد عسكري ورجل دولة عالمي وشخصية رئيسية في الثورة الكوبية ، أصبحت صورته منذ وفاته رمزاً في كل مكان وشارة عالمية ضمن الثقافة الشعبية ، سافر جيفارا عندما كان طالباً في كلية الطب بجامعة بوينس آيرس عام ١٩٥٣ إلى جميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه ألبيرتو غرانادو على متن دراجة نارية ، وكَوَّنَت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البسيط ، وتغير داخلياً بعد مشاهدة الفقر المتوطن هناك ، أدت تجاربه وملاحظاته من خلال الرحلة إلى استنتاج بأن التفاوتات الاقتصادية متأصلة بالمنطقة ، والتي كانت نتيجة الرأسمالية الاحتكارية والاستعمار الجديد والإمبريالية، رأى جيفارا أن العلاج الوحيد هو الثورة العالمية.

لقد اتَّسم نقد جيفارا للسياسات السوفييتية في كثير من الأحيان بالقسوة، إلاّ انه تميز وانفرد ، في سياق تلك الحقبة، بالراديكالية والوضوح والأمانة العلمية والثورية .. غير أن جيفارا لم يفعل ذلك بدوافع ذاتية أو استجابة لنزوات شخصية ، بل لأنه كان ثائراً شيوعياً وماركسياً بديناميكية نادرة وبذهنية منفتحة رافضةً للجمود العقائدي وكافة القوالب الفكرية المتزمتة والمتخشبة ؛ ولأن فكره كان في حركة مستمرة ، أصبحت المسلمات لديه، موضع شك وتساءل وتمحيص، لذا رفض جيفارا أن يسقط في الصنمية للسوفييت أو لأية أيديولوجية مغلقة، ولأنه

رأى مخاطر النمط السوفييتي واستشرف مبكراً خطورة انهياره وعودة الرأسمالية إلى ذلك البلد، بالإضافة إلى كونهِ أُممياً رافضاً لمواقف السوفييت المتواطئة مع الإمبريالية الرأسمالية واللامبالية بنضال شعوب الأرض وفقراء العالم ، لم يكن جيفارا عالماً اقتصادياً، إلا انه درس الماركسية واستنار بمبادئها.. ومن خلال التجربة اليومية والممارسة العملية، التقط، ربما قبل غيره من زعماء تلك الحقبة، أن النمط الاقتصادي الذي اتبعه السوفييت كان يأخذهم بعيداً عن مفاهيم ماركس وانجلز في بناء الاشتراكية ، فلم يدخر وسعاً ولا توانى عن التصريح برأيه والدفاع عنه ما تكهن به جيفارا في منتصف الستينات قد تأكدت صحته اليوم ، لقد انهار الاتحاد السوفييتي وعادت الرأسمالية إليه وإلى كافّة البلدان الشرقيّة إلا أنَّ الأهم ، هو أنَّ هذا التَكَهُّن ، كان نتيجة منطقية لرؤية نافذة مبكرة ولنهج علمي في تحليل الاقتصاد السياسي السوفييتي ، وهو ما أوصل جيفارا إلى التحذير من أن الانهيار قادم لا محالة إذا لم تتغير السياسات.

***

كانت جارة لأم محمود تعرض خداماتها على صعب فقالت لأمه وله ذات مساء : ابني محمد شاب صغير يا أم محمود ذكر لي أنه يرغب بالعمل معك يا صعب بعد عودته من المدرسة عندما ينقل لك الطعام الذي ترسله لك امك يرغب بمساعدتك في تصفيف البضاعة من البسكوت وأصابع الحلويات وعلب الدفاتر والأقلام في كوخك وهو شاب رغم صغره طويل

قال صعب مرحبا : اذا يقدر على فعل ذلك فمرحبا به أحيانا بحس بتعب من الحركة أثناء إدخال الصناديق للكوخ وسوف اكرمه يا أم حازم

قالت بسمة : خلاص كل يوم يذهب عصرا ساعة زمان لمساعدة صعب في ترتيب المشتريات ووضعها على رفوف المحل ..

قالت : سيفرح يا أم محمود .. محمد يحب مساعدة الضعفاء ؛ فكان يسر لما يُقطع الشيخ يوسف الأعمى للجهة الثانية .. يحس ؛ كأنه عمل أمرا هائلا

قال صعب : نعم ، أنا كنت ألاحظه يفعل ذلك وتعجبني نخوته وهمته وأشكره من قلبي

فالضعيف مثلي يشعر بما يعاني الذين عندهم عاهة وإعاقة

ـ من الغد سيساعدك قدر المستطاع .. فمحمد طلب مني ذلك .. فهو كان محرجا أن يتكلم معك مباشرة خشي أن يجرح شعورك ويحسسك بالعجز قال ربما لا يحب العم صعب ذلك

قالت بسمة : شعور نبيل !.. وكما قلت لك ولغيرك العمل الذي يقوم به صعب ؛ ليس لزيادة دخله فإخوته يحبون له الجلوس في البيت مرتاحا معززا ؛ ولكن ليطرد الزهق والملل وليبق بدنه نشيطا ..

قالت : نعم ، هو الكوخ عليه حركة فترة ذهاب التلاميذ إلى مدارسهم .. خاصة الذين يذهبون مشيا على الأقدام

قال صعب : هذه هي الفكرة من العمل ، والأخوة لقد كانوا نعم الأخوة يا أم يوسف قاموا بالواجب وزيادة

***

بعد خروج صعب من بيت فارس ذلك المساء وحضور نضال بساعة يخبرهم باعتذار صعب عن الزواج تحت أي شرط قال فارس لائما يسرا : ألم اقل لك انه سيرفض أن يبتعد عن امه ؟ وآخرته البيت سيصفي له ولماذا يسجله باسم جيفارا؟!

قالت : يا نضال افرض انه طلقها لأي سبب .. تخرج من المولد بلا حمص

قالت جيفارا : وكيف يترك امه تعيش وحدها ؟

قالت : فهمنا أنها كانت تعيش وحدها قبل خروجه من السجن .. أنا لا احب الزواج من اعرج عاجز يحتاج لخدمة مثل أبيك

قال نضال محتدا : هذا الكلام عيب يا امرأة عمي ..الرجل أولا يمشي وهناك من ينفق عليه محبة ؛ وليس عطفا وشحدة .. ولا احد يجبرهم وثانيا لا يجوز هذا الكلام أمام عمي .. لو أنت العاجزة هل ترغبين بالخلاص منك ؟

قال فارس ساعيا لتخفيف التوتر : أشكرك يا نضال لا ارغب بتضخيم المشكلة .. أنا اعرف

الناس بأخلاق وألفاظ زوجتي

صاحت : مالها أخلاقي يا فارس؟! لي سنوات أتحمل عاهتك وقذارتك .. وهل كلامي الصريح يؤذيك ؟ فالعجز مشاهد وانا ارفض زواج ابنتي من فاشل

قام نضال غضبان وقال : السلام عليكم

وقامت جيفارا لتودعه ونقلت له رسالتها الشفوية ليبلغها لصديقه في السجن ، وقال فارس لها بعد مغادرة نضال : عيب أن تتكلمي بضعفي وعجزي قدام الناس يا سيدة .. أنا صحيح ضعيف ؛ ولكنني يمكنني أن استغني عنك وعن طول لسانك .. قبل فترة كنت مريضة عاجزة عن العمل في البيت .. تهينني أمام الناس هذه قلة أدب وقلة تربية

ظلت ظلال المشكلة لعدة أيام مع محاولات إصلاح البنات لامهن وأبيهن دون فائدة ، مما دفع جيفارا للسفر إلى بيروت والعمل هناك ، ولما وصلت بيروت اتصلت بالبيت وأخبرتهم بوصولها وهي تبحث عن عمل في مستشفى أو مركز طبي ، وعادت المناقرات بين الزوج والزوجة واتصل فارس المحامي بشقيق له وطلب منه زيارته ، ولما لبى الطلب قال له فارس أمام الزوجة والبنات انه طلق زوجته وأن عليه إشهار ذلك قضائيا ، ولن يقبل شفاعة احد ببقائها على ذمته ، وحصل ذلك وحكمت المحكمة بطلاقها ، ودفعت لها حقوقها الشرعية ، وبعد حين رحلت وحدها لبيروت ، فقالت ليلى لأختها : كان دخول صعب علينا شؤم !

فردت أختها مارسيل : لا ، هذا غير صحيح .. صعب القشة التي قصمت ظهر البعير .. هما حياتهم كانت تقف على شفير النار.. فالأفضل لهما البعد .. وعلمت من عمي انه سيتعاقد مع خادمة أجنبية لرعاية أبينا

ـ ونحن

ـ ما لنا نحن يا ليلى .. كان المفروض أن تسعد أمي أن وجدت رجلا يقبل بجيفارا فمصيرنا الزواج من كبار من مطلقين من أرامل .. فزواج جيفارا سيفسح المجال لنا

ـ لما لم تتزوجي لليوم ؟

ـ كنت انتظر زواج اختنا الكبيرة فهي الأولى حسب الترتيب

ـ الترتيب موضة قديمة

ـ ذا أيام الزيجة الأولى ..

***

التقت جيفارا بأمها ببيروت ، ولم ترحب بها كثيرا وقالت لها بحدة : سأعود لابي دبري نفسك واعملي كما كنت تعملين سابقا

ـ كل هذه لعيون صعب

ـ لم تسمعي لي .. أبي يحب لنا أن نتزوج كسائر نساء العالم ؛ لعل الله يهب لنا من الأطفال كما وهب لكم ، لم تدع عيبا إلا جعلته في الشاب ؛ كأنك عشت معه سنوات من العمر .. نحن بحاجة للزواج .. وهل اذا ترملنا لا نتزوج ؟ ما دمنا وجدنا من يقبل بنا .. الموت بيد الله

ـ لا احب سماع مثل الكلام .. عودي لأبيك وتزوجي ممن تسبب بطلاقنا

ـ أنت تسببت بطلاق نفسك يا أمي .. انتم كانت حياتكم على حافة بئر .. مشاكل سب لعن حتى حانت ساعة الصفر .. أنت لم تتحملي أبي منذ قطعت ساقاه وذهبت للشام لأنك مفلسة ليس محبة بأبي العاجز .. وهو كما قال لي عرض عليك الانفصال منذ نقل للشام للعلاج وأنت تظاهرت بالشفقة والحزن والحب له ومن اجل خاطر البنات

رجعت الفتاة لبيت أبيها واخبر نضال بعودتها وانها مستعدة للزواج من صاحبه ، وتحقق الزواج خلال أسابيع وسكنت جيفارا في بيت صعب وامه في حي أبو النمل

***

اتصل محمود المهندس ببيت امه مخبرا بأن عمه فهدا تحدث معه مخبرا بأن ابنة عمه الدكتورة ليلى كايد المهاجرة إلى أمريكا ترغب وتريد العودة للبلاد قريبا ، ويريد مساعدتي بشراء فيلا لها ولزوجها المناضل اليساري الهارب إلى أمريكا الرأسمالية ناهض راتب .

قالت امه متذكرة الفتاة : لقد زارتنا كذا مرة أيام ما كانت تعيش في بيروت مع والدها

ـ نعم صدقت يا أمي ! يبدو أن انهيار الاتحاد السوفيتي ومؤتمر مدريد بين منظمة فلسطين وإسرائيل شجعهم على العودة

ـ أهلا وسهلا بها .. هذه البلاد احسن لهم من الغربة

قال مضيفا : كانت غربة خوف على الحياة يا أمي .. رغبت أن تعرفي ذلك الخبر .. كيف أنت وجيرانك ؟

ـ الأمور طيبة لحتى الآن .. البنت محترمة ، ولما يخرج زوجها تذهب لبيت أبيها المسكين صديق عمك المغدور كايد تنظفه وتطبخ له إن لم تطبخ البنات العاملات له وترتب فراشه وبعد الغداء تعود

ـ ألا تتغدى معك ؟!

ـ نفطر سوية ونشرب الشاي وقبل الظهر تذهب لبيت أبيها ؛ كما قلت لك .. ونتعشى معا وصعب كما تخبر ارسل له الطبيخ بعد تسخينه مع محمد ابن أم يوسف جارتنا لما يعود من المدرسة ، واذا لم اكن أكلت وطعمت وعادت البنت نتغدى أنا وإياها

ـ التعاون مطلوب والأب المسكين بحاجة لرعاية ، وعلمت من صعب أنه لا يفكر بزوجة ، وكان يريد التخلص منها قبل عودته لبلده مصابا ومعاقا

ـ هذا حال جرحى الثورات والحروب متى ستصل ليلى كايد ؟

ـ لا ادري متى بالضبط ؟لأنها تريد امتلاك فيلا كما قال العم فهد والد المرحوم طراد وهذا يعني أنها ترغب بالمكث هنا في بلادنا

ـ تصل بالسلامة بمشيئة الله

***

ألغى الاتحاد السوفياتي خلال فترة رئاسة جوزيف ستالين الدكتاتورية القطاع الخاص بالكامل وفرض الشيوعية في الأقاليم التابعة له ، وشهدت فترته ما عدّه خصومه تطهيرا عرقيا في مناطق كثيرة ، منها المناطق التي يقطنها مسلمون كالقوقاز وتركستان وتترستان.

وفي الحرب العالمية الثانية ، دخل الاتحاد السوفياتي في حرب مع ألمانيا ، وخرج منها منتصرا لكن منهك القوى ، فقد خسر فيها أكثر من ١٠٪ من سكانه و٧٠٪ من منشآته الصناعية وشهدت مبانيه وبناه التحتية دمارا هائلا .

وكان آخر زعمائه غورباتشوف ، بينما كان غورباتشوف في إجازة في شبه جزيرة القرم، استغل الشيوعيون المعارضون لسياسة البريسترويكا غيابه ليعلنوا انقلابا عسكريا عليه يوم ١٩ أغسطس ١٩٩١ ، مشكلين لجنة الدولة للطوارئ بهدف إنقاذ البلاد من الانهيار

أعلن الشيوعيون في الإعلام الرسمي للدولة أن ميخائيل غورباتشوف "غير قادر على تولي مهامه لأسباب صحية" ، وعينوا محله غينادي ياناييف نائب الرئيس، وقادوا لجنة الدولة للطوارئ وخولوا أنفسهم كل الصلاحيات.

تصدى للحركة الانقلابية رئيس جمهورية روسيا الاتحادية بوريس يلتسن منذ الساعة الأولى لإعلانها ، حيث دخل موسكو بالمدرعات، ودعا إلى الإضراب العام والعصيان المدني ، وأيدته ثلاث وحدات عسكرية، ورفع علم الاتحاد الروسي.

قدم غورباتشوف استقالته من رئاسة الحزب الشيوعي في ٢٥ اغسطس ١٩٩١ ، وتم إنزال علم دولة الاتحاد السوفياتي من الكرملين في موسكو ، ورفع بدلا منه علم روسيا ، وصوت البرلمان السوفياتي في ٢٩ أغسطس ١٩٩١ على إيقاف عمل الحزب الشيوعي وإغلاق مقاره.

وفي ٢٥ ديسمبر ١٩٩١ ، أعلن رسميا انتهاء الاتحاد السوفياتي ، والاعتراف باستقلال الجمهوريات السوفياتية ، وبدأت حقبة تاريخية جديدة في المنطقة والعالم

كان تفكك الاتحاد السوفيتي إشارة لانتهاء الوجود القانوني لدولة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وقد حدث ذلك التفكك في ٢٦ ديسمبر ١٩٩١

***

مر في سياق القص أن لكايد ابنة تعلمت في بيروت في الجامعة الأمريكية مثل أبيها المحامي تعلمت الآداب الإنجليزية ، وأنها هربت لسوريا، ثم تبعها زوجها احد قادة النضال ، وهربا

لتركيا ومنها لأمريكا ، وانتهى النضال وتحرير الأوطان في قاموسهما ، ولما تغيرت الأحوال في الشرق العربي ، قرر المناضلان العودة ؛ فالبنت درست في الجامعة الأمريكية في بيروت ، ولها صداقات مع أمريكان الجامعة فكملت الدراسات العليا في جامعة أمريكية ، وكان زوجها ابن صديق ثوري لوالدها ، وهو درس في جامعة بيروت العربية كمدرس رياضيات أثناء عمله في مكاتب الثورة والجبهة ، ثم فترت همته وحماسه للنضال فهرب لأمريكا واشتغل هو وزوجته هناك بمساعدة من أمريكان من الجامعة الأمريكية التي لا تفتقد لعملاء المخابرات الأمريكية لأن الجامعات مرتع جيد لأجهزة المخابرات على مستوى العالم بثياب العلم ، ولم تلد منه إلا طفلا واحدا ، ثم هلك بمرض ألم به ، ولم يعرف هذا المرض الغامض كما قيل لهم

***

تمكن محمود من شراء فيلا وافق عليها شقيق كايد السيد فهد العم الباقي لهم ، ولما حضرت الدكتورة قبل زوجها ناهض راتب حصّاني ، واستقبلها بعض الأقارب وعمها فهد الباقي ذهبت للفيلا ورأتها رأي العين والحي المهم المقامة فيه ، شكرت عمها وابن عمها محمود واستعانت ببعض الأهل لشراء الأثاث الملائم للفيلا من افخم محلات الأثاث والأدوات المنزلية في المدينة ، واستأجرت خادمة تعمل معها في البيت ، وتعيش معها ، وأجلت البحث عن عمل يليق بشهادتها الأكاديمية ريثما يحضر زوجها المدرس ، وسمعت بقصة زواج صعب ابن عمها من ابنة رفيق والدها الأستاذ المحامي فارس مالك، وحزنت لما حل به من إصابة ووعدت جيفارا ابنته بأنها ستزوره في اقرب فرصة متاحة ..وكانت حالات الانشقاق والانفصال والهرب في الحركات الفلسطينية مستمرة ولا تتوقف منذ ظهرت تلك المنظمات على ارض الواقع العربي ، ففي اكبر الحركات عددا حدثت عدة انشقاقات منذ نشأتها ، والجبهة الشعبية بعد تأسيسها بفترة انقسمت إلى ثلاث جبهات ، وكل من انقسم انقسم ، هنا يحدث انقسام وهنا يحدث اندماج ، هذا يدخل منظمة التحرير وذلك يخرج من منظمة التحرير ، ومن الناس من يترك النضال كليا أو جزئيا ؛ فليس هرب ناهض أول هرب يحدث في أي تنظيم ، وحتى أن

بعضهم غير ايدلوجية تنظيمه من قومي لماركسي سوفيتي أو صيني أو غير ذلك .. وعلى العموم نفس القومية التي تصدرت في مطلع الخمسينيات ضعفت بعد خسارة الحرب عام ١٩٦٧ كانت ضربة للناصرية والقومية وسيطرت القطرية على الدول

***

القومية العربية أو العروبة في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح ، وبأن دولة عربية واحدة ستقوم لتجمع العرب ضمن حدودها من المحيط إلى الخليج .. هذه أهداف وشعارات القوميات العربية .

في العصر الحديث جسدت هذه الفكرة بعقائد فكرية مثل الحركة الناصرية والتيار البعثي الذين كانا الأكثر شيوعاً في الوطن العربي خصوصاً في فترة أواسط القرن العشرين حتى نهاية السبعينات ، والتي تميزت بقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا وشهدت محاولات وحدوية أخرى كثيرة كان رواد ومؤسسي القومية العربية أكثرهم من المسيحيين في بلاد الشام مثل ناصيف اليازجي، بطرس البستاني، نجيب عازوري وميشيل عفلق ، ويرى البعض أن هدفها الأساسي كان هو هدم الدولة العثمانية .. يؤمن القوميون العرب بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك من اللغة والثقافة والتاريخ إضافة إلى مبدأ حرية الأديان الوحدة العربية هدف القوميين العرب ولليوم لم تتحقق ، القومية العربية هي مشروع أيديولوجي مبنى على مبدأ عروبة شعوب منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط، العروبة كفكره مبنيه على فرضية أن شعوب العالم العربي هي شعب منحدر من جذور عرقيه واحده يتكلم لغة واحدة وله ثقافة واحدة و تراث ديني واحد و له تاريخ و مصير مشترك وتناسوا القوميات الموجودة في كل دوله مثل الأكراد الأرمن الكلدان الأمازيغ البربر .

القومية العربية ظهرت بقوة مع سقوط الدولة العثمانية في أوائل القرن الـ٢٠ و انحسرت بعد هزيمة العرب المدوية في حرب ٦٧ .

سيارة لجيفارا

قدم شقيق البنت حسن كايد من الإسكندرية لمقابلة أخته ليلى التي كانت تراسله وهي في أمريكا ولما استقرت في البلاد ، كتبت له بشرائها لبيت ، ولما هبطت الطائرة المصرية اخذ سيارة أجرة لحي أخته ، ولم يتأخر في الوصول للبيت كان العنوان سهلا للسائق ، وبعد ترحيب وعناق اتصلت بعمها فهد تخبره بمجيء أخيها حسن ، فرحب بزيارتها للسلام عليه ، فبعد العشاء من احد مطاعم المعروفة بتوصيل الطعام للزبائن ، ركبت سيارتها الجديدة وانطلقت بحسن لبيت العم فهد في شارع سيدو عدنان حي أبو النمل ، ورحب بهم العم وزوجته وبعض أولاده الذين يسهرون معه ، وكان جل كلامهم وحديثهم عن الوالد كايد الذي ذهب لدراسة المحاماة في بيروت ، ثم التحق بالحركات القومية اليسارية الثورية ، وترحموا عليه كعادة الناس وكان العم يقول : لم تحضر أم عارف معك ؟

ـ ظلت مع الأولاد

ـ كم ولدا عندك؟

ـ ثلاث ، بنتان وذكر

ـ انتم مثل الأجانب ولد وبنت وتتوقفون

قالت ليلى : الزمن تغير يا عمي ! أنا أنجبت طفلا واحدا ثم مرض مرضا مجهولا ومات ، وتركنا الخلفة خشية مثيل له بالمرض الغامض

ـ ولم تعيدوا التجربة

ـ حزمنا الأمر ؛ ولذلك أتابع أي خبر شبيه لمرض طفلي

قال حسن : لعل التشخيص خاطئ يا ليلى

قالت : كان هناك تشريح ودراسة ، وكانت النتيجة مرض نادر جدا ، ولا يعرف عنه أي معلومات

قال احد أبناء العم : الله تعالى اعلم .. يموت الكثير منا بأمراض معلوماتنا عنها بسيطة

بعد ساعة ضيافة غادرت الفتاة وشقيقها بيت العم ، وكان يسأل ابن أخيه عن مدة الإجازة وهو يودعهم فجاءه الرد بقول : أسبوع واحد فقط وعندما يحضر زوجها ناهض قد احضر أنا والأسرة كلها لزيارتكم

ـ يا أهلا وسهلا بكم يا عمي .. سلم على عيالك واتصل بي قبل سفرك لتناول الغداء أو العشاء معنا .. هل تعلم أن صعبا ابن عمك رجع للبلد مصابا وتزوج من شهور مضت

ـ سمعت من أختي قبل حضوري للسلام عليك ؛ ولعلنا نراه قبل سفرنا

***

أخبرت جيفارا فارس زوجها صعبا أن عريسا تقدم لأختها ليلى فبارك ثم قال : من هو ؟

قالت : من أقارب أبي عن طريق نضال ابن العم

ـ هذا الرجل نضال عرفته فقط في السجن .. لم التق به بيروتيا

ـ هو كان يتردد على بيروت برسائل سرية للقيادة ولأبي كان يعمل في مخيم اليرموك في مكتب التنظيم وحاول الفرار من التنظيم فاتهم بالخيانة وسلمته الجماعة للأمن السوري واودع السجن خشية بيع معلوماته لليهود أو النصارى اللبنانيين

ـ هو لم يفصل لي كثيرا أثناء حبسنا .. فنحن في السجن نخاف من بعضنا ..فهم يجندون بعضنا للتجسس على بعض لكشف أسرارنا بحجة أن السجين يحب الفضفضة والاعتراف للزملاء فتقوم السلطة بتخفيف سنوات السجن والعقاب عن البعض لخيانته رفاق السجن

قالت بانفعال : حتى الجواسيس بين الموظفين في المستشفى ينقلون الأخبار لمدير المستشفى أو غيره .. سياسة إدارية فاشلة .. متى تزور أبي فهو دائما يسأل عنك؟

ـ ليلة الغد اذا لم نذهب للسلام على ابن عمي حسن كايد الذي جاء من مصر يزور أخته ، فهو له سنوات لم يرها بعينيه ، يقال كله على الهاتف والورق ..يلزمنا سيارة يا جيفارا

ـ افضل من التكاسي .. أنت تسوق كما قلت من صغرك هل تستطيع ذلك اليوم؟

ـ لم اجرب ؛ لأن تنقلاتي قليلة .. الناس تأتيني .. سأتحدث مع الأخوة أنت تسوقين كما ذكرت

من قبل
ـ أنا أسوق وبدلت رخصتي برخصة محلية ، كان عملي يتطلب سيارة كانت تمر عليّ فترات عمل ليلي فاشترى لي والدي سيارة أو قل للعائلة .. فهي اليوم مع مارسيل الصغيرة فينا
ـ سأجد فرصة لعرض الأمر للأخوة ولن يبخلوا عليّ بسيارة ولو عتيقة

وقبل زواج أخت جيفارا اشترى الأخوة سيارة صغيرة باسم صعب تقودها جيفارا ، وذهبا بها للعرس في صالة خاصة بالحفلات ، وأصبحت الفتاة تذهب لبيت والدها بها ، وبعد أن تغديه تعود سريعا للبيت وتتغذى مع حماتها في كثير من أيام الأسبوع ، لم تكن بسمة الأرملة امرأة متسلطة وتحب المنازعات والمناقرات مع كنتها ؛ فكان برنامجها اليومي الثرثرة مع الجارات من جيلها ، وكانت بوجود السيارة تأخذ كنتها لزيارة أخواتها بعض الأمسيات ، ولم تتذمر جيفارا من ذلك ؛ بل كانت اجتماعية وترحب بمثل هذه الزيارات فصعب في الكوخ حتى بعد صلاة العصر بقليل ، واكثر الوقت في البيت ثرثرة وسماع أخبار التلفزيون

***

في يوم ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ ، وقّع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في حديقة البيت الأبيض بواشنطن اتفاق تشكيل سلطة حكم ذاتي فلسطيني انتقالي يعرف باتفاق أوسلو الذي مهد لمرحلة جديدة من تاريخ القضية الفلسطينية .. كانت رؤية الإدارة الأميركية لعملية السلام في الشرق الأوسط مبنية على ضرورة إيجاد حل ما للصراع العربي الإسرائيلي، لا سيما مع موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على السير في خطة تسوية. وكانت نتيجة مؤتمر مدريد والمحادثات السرية التي أعقبته في العام ذاته ، التوصل إلى اتفاق أوسل و، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى العاصمة النرويجية التي جرت فيها المحادثات

***

ذهبت بنت كايد للمطار وحدها لجلب زوجها ناهض القادم من فرجينيا الأمريكية وهي احدى ولايات أمريكا الشمالية التي تسمى الولايات المتحدة بعد نصف الليل ، وصلت الطائرة إلى

المطار ، ولما انهى الرجل الإجراءات الروتينية وختم الجواز واخذ حقيبته وجد زوجته في انتظاره بكامل زينتها ، فاحتضنها وقبلها وأمسكت بيده وقادته فرحة ونشطة إلى حيث ترقد سيارتها الحديثة ووضعت الشنطة في الكرسي الخلفي ، وجلس في المقعد المجاور وهو يحدث عن أخباره بعد سفرها ، وهي روت ما تذكر من الأحداث ، وذكرت له من ضمن الحديث عودة العم فارس لبلده ، وقد فقد ساقيه قبل العودة ، وكانت تعلم بموت والدها وأسرته الباقية في أحداث بيروت ٨٥ ، وذكرت له عودة ابن عمها صعب فهو يعرفه حق المعرفة ، فهو كان حارس باب المكتب في برج البراجنة ، وروت له انه تزوج بنت العم فارس فدهش ناهض ، وبعد اكثر من ساعة دخل الفيلا التي يملكها مع ليلى كايد ، وعمل جولة سريعة من الداخل وقال : ممتازة ابن عمك مهندس ذكرت لي !

ـ مهندس معماري قديم وصاحب شركة مقاولات كبيرة وهو رجل محترم وهو الذي ينفق على شقيقه المصاب صعب مع اخويه محمد والكابتن جميل كابتن طائرة

ـ ومحمد

ـ مدير فرع لبنك كبير في البلد سأعرفك عليهم

ـ نعم المعرفة

قدمت الخادمة الطعام لهما وهي تقول : قدمت لأكثر من جامعة ولحتى الآن لم تقبلني جامعة رغم شهادتي الأمريكية

ـ هنا زهد بالدكاترة

ـ لا زهد ولا فائض .. سيدبر لي ابن العم محمود موقعا في احدى الجامعات ، فقد طلبت مساعدته لا ارغب في المدارس الثانوية

ـ هل له ثقل في البلد ؟

ـ مثل كل الناس ؛ إنما هي معارف ومجاملات ، فقال لقد شيدت لعدد كثير من مدراء وعمداء الجامعات والكليات المتوسطة

ـ الوساطة في البلاد العربية في كل شيء ، لا تترك مكانا للكفاءات

ـ نعم نعم

***

لما رجع صعب من الكوخ مع الغروب وتعشى مع الأسرة قالت أمه : كيف الشغل ؟

ضحك وقال : الشغل رغم بساطته يا أمي يدر ربحا جيدا لم اكن أتوقعه

ـ المهم البركة والحلال يا صعب

ـ بيع الدخان يخبرني بعضهم بقول حرام لا يجوز ، وبعضم يقول ولا حرام ولا حلال مكروه واذا حرم شيء يكون بيعه حرام ..وهم لا يعلمون أنني لا اهتم بحلال ولا حرام .. وانا ادخن منذ شببت عن الطوق وجيفارا تدخن من قبلي معرفتي بها فالأمر محير

قالت جيفارا : منذ وعيت وانا أرى أبي يدخن وأمي تدخن وتسكر ومثلها أبي .. أبي ترك السكر بعد الحادث المدمر .. أنا تعلمتها منهم ؛ ولكنني كرهتها فقد سببت لي تعب بدني .. فنصحي طبيب بتركها ، لم يحتمل جسمي الكحول بكل أنواعها ، رغم استنشاقي الدائم لها في المستوصف للكحول الطبية .. عندي خبر يا عمتي ويا صعب

قالت بسمة : هل حبلت ؟

ضحكت وقالت : سيحدث كما تقول الطبيبة ، فهي تعطيني أدوية تنشط المبايض والرحم . . الخبر يا صعب أمي المطلقة أرسلت لابي رغبة بالعودة لبلادنا والعودة لابي

قال : معقول ولماذا ؟!

ـ المهم اتصلت بمارسيل لتطلب من أبيها الصلح والاعتذار

ـ يبدو أنها تعاني في بيروت .. هي متعلمة امك

ـ درست جامعة مثلنا والتحقت بالثورة ، وتعرفت على أبي حيث كان جريحا في احدى غارات إسرائيل ، كان جرحا بسيطا كما قيل لنا ، وكانت تعمل في مستشفى القسم المالي معها بكالوريوس تجارة من الجامعة الأمريكية ببيروت واستلطفها أبي المحامي واتفاق المبادئ

الماركسية والشيوعية لكليهما فتزوجا باسم الثورة والعم ماركس

ـ ياما خرب بيوت السيد الشيطان ماركس

ـ الجهل الجهل يا عمتي ! المهم أبي تحدث معي بذلك ، وهو لا يرغب بأي امرأة .. وأختي مصرة على عودتها لابي

***

حاولت مارسيل إقناع والدها بكل قوة بالصلح مع أمها والزواج بها من جديد حسب القوانين التي يتحاكم إليها الناس ؛ بل أنها مستعدة أن تعيش معه بدون عقد زواج ، ولكن فارسا رفض عودتها ولتبحث لها عن زوج شاب يحقق لها رغباتها الجنسية ، فاضطرت مارسيل بتهديد والدها بهجره والسفر لبيروت والعيش مع أمها فقالت : يا أبي هي أمي كما أنت أبي

ـ تعيش في بيت بعيد عني .. أنا طلعت من حياتي قبل عودتي للبلد .. الظروف التي جمعتنا تغيرت .. لم نعد مناضلين ولا ثوارا ؛ بل فقدنا الكثير من الرفاق والأعزاء أو عدنا مشوهين

ـ أمي تعيش حياة صعبة كما تقول لي عاجزة عن تدبير أمرها بالعمل لكثرة الأمراض فتفصل

ـ هي التي اختارت الشقاء لنفسها وهي تعلم أنها مريضة بسبب الكحول وبسبب السجاير وبسبب أمراض السن

ـ حسنا ! أنا لا اقبل العيش هنا وأمي تحتضر

ـ ارسلي لها المال اذا كانت القضية قضية فلوس لتشتري بها المشروبات

ـ لا امل بالصلح

ـ أنا سعدت بطلاقها ، وتحررت من لسانها الوقح ، كانت تجرحني عشرات المرات في اليوم حتى أمامكن يا مارسيل قبل الزائر والأقارب

ـ غدا سأستقيل من المستشفى وارحل لبيروت ولن ارجع هنا إلا معها وساترك لك رقم هاتف لما اصل واذا غيرت رأيك اتصل

ـ افعلي ما شئت .. جيفارا تزوجت ورحلت ، وليلى تزوجت ورحلت وارحلي أنت .. وجيفارا

ما زالت معي اغلب الأيام تتغدى معي وأنت تعرفين ذلك

ـ لما تعشر وتحبل سيقل وجودها عندك حسنا اذا قبلت عودة أمي للعيش معك عدت معها

***

اخبر الأب فارس ابنتيه هاتفيا برحيل مارسيل زاعمة بحبها لأمها واختارت أمها أو العيش معهم ، فتسبب ذلك بمقت وألم للأختين ، ويرين انه لم يكن خيارا موفقا ، فكان يمكن إرسال المال إليها لعجزها عن العمل بسبب الأمراض المتلاحقة والصحة المتهالكة ، ويمكنها السكن في البلد والصرف عليها بدون العيش مع فارس ، وذكرهن بتجريحها وسبه وشتمه أمام ضيوفه وزواره حتى كان يعجب أهله من صبره على إهاناتها وتحجج بصبره ببناته ، واستمرت الفتاتان ترعيان أباهما العليل والعاجز ، وكانت تخدمه خادمة منذ تزوجت جيفارا خدمة بسيطة تحضر له الطعام والمشروبات من الشاي والقهوة والمسليات ، وغسل ملابسه عند تأخر البنات بفعل ذلك لأسباب العمل والمرض العارض الذي يصيب كل الناس .

بعد شهر من سفر مارسيل علمت جيفارا أن مارسيل وجدت رجلا فرنسيا عرض عليها الزواج كان يعمل في المستشفى الفرنسي في بيروت ؛ حيث وجدت عملا ، ورحبت أمها الماركسية بزوجها ميشال الفرنسي وقبل أن تعيش باقي حياتها معهما ، وحتى اذا عاد لفرنسا سيأخذها معه ، ولما علم فارس بزواج ابنته بدون إرادته ورغبته صب عليها لعاناته وقال : الزواج في لبنان لا يهتم بدين مثل فرنسا إلى جهنم هي وإياه .

***

ذات نهار ذهبت جيفارا عصرا لكوخ العم صعب وأجلسها على مقعد صغير في الكوخ يجلس عليه ضيوفه وزبائنه لبعض الوقت ، وكان يرى أن في عينيها كلاما فقال : هل من شيء؟

قالت : لدي خبر سعيد لم اصبر عليه حتى تعود

ـ عودة مارسيل

ـ لا ، مارسيل .. ألم اقل لك إنها تزوجت فرنسيا عجوزا فرنسيا ؟ وجدته في مستشفى تعمل

فيها.. وليلا ونهارا يصب أبي عليها اللعنات .. الخبر اهم مارسيل

ـ اسمعينا لعلنا نفرح

ـ أخبرتني الطبيبة قبل مجيء إليك بعد أن أخبرت حماتي أنني حامل

وقف كالقرد وقال : صحيح يا جيفارا صحيح ! هل سأصير أبا آخر الزمان يا الهي ! .. اذا صح الحبل ولم يكن حبلا كاذبا كما نسمع أو كالمرة الماضية

ـ الفحص اثبت وجود حمل صحيح أيها الحبيب .. اذا صح الخبر ماذا سيحصل ؟

ـ سأعود إلى الله شاكرا سأترك الإلحاد وحمقه سأتوب إلى الله

ـ وانا مثلك .. ومن اليوم تركت الدخان من اجل صحة الجنين

ـ سنحتفل الليلة .. أكيد أمي طارت فرحا

ـ كادت تخنقني وهي تعبطني سعادة .. سآخذ أدوية تثبيت خلال الأشهر الثلاثة الأولى

ـ خذي كل شيء كم احبك يا جيفارا!

***

رغب ناهض برؤية فارس مالك ، فقامت ليلى كايد بالاتصال بالرجل الساعة الثامنة ليلا ، وبعد الاطمئنان على حاله أخبرته برغبة زوجها ناهض برؤيته والسلام عليه اذا كان وقته يسمح بذلك فضحك قائلا : أهلا وسهلا على الرحب بكما ..



هل أنتما آتيان الآن ؟

تكلم ناهض مع الرجل وأخبره بمجيئه من فترة من أمريكا ، ويحب الحديث معه ويسمع أخباره رأسا برأس ، فأعاد فارس الترحيب به من جديد ، وأنه في انتظارهما ليشربا القهوة معا .

خرجت الدكتورة بالسيارة من موقفها الخاص أمام الفيلا ، وكان ناهض قد فتح لها بوابة الكراج لتخرجها للشارع ، ثم يجلس بجوارها وقبل أن تخرج السيارة سمع صوت رصاص وصرخ ناهض وسقط على الأرض ، فنزلت ليلى كايد من السيارة وهي ترتجف من الرعب

فوجدت زوجها يئن ويصرخ من الوجع فأسرعت إلى الداخل واتصلت بالإسعاف والبوليس ولم يمض وقت طويل حتى امتلأ الشارع بسيارات النجدة والبوليس ، ونقل ناهض إلى اقرب مستشفى ، وقد أصيب بخمس رصاصات قاتلة كما قيل فيما بعد ، وعلم أقرباء ليلى بالحادث فهرع الكثير منهم نحو فيلا ليلى كايد ، ولما تأخر ناهض وليلى على فارس عاود الاتصال بالفيلا فردت الخادمة مخبرة له بإطلاق الرصاص على ناهض أمام بوابة الفيلا فترك السماعة رعبا وهو يقول : ماذا حدث ؟ ولماذا يطلق عليه الرصاص ؟ هل نحن ما زلنا في بيروت ؟

واتصل بجيفارا وأكدت له الخبر وان الرجل نقل للمستشفى ، ووضعه الطبي صعب وذهب زوجها مع أخيه الكبير للفيلا ، ثم المستشفى وعند منتصف الليل اعلن خبر وفاة ناهض في وكالات الأنباء المحلية والدولية ، ولما سمع فارس الخبر من جيفارا خر ميتا من الصدمة وقيل حلت به نوبة قلبية أودت بحياته هو الآخر

***

لقد صدمت العائلة بحادث الاغتيال وسارعت أجهزة الأمن بالبحث عن القتلة وحسب أقوال الشهود انهم كانوا اكثر من شخص يتربصون بالرجل ، تبين للشرطة أن القضية جريمة سياسية ووصل خبر موت فارس لابنتيه مصدوما باغتيال ناهض فأخذت زوجها صعبا إلى حي ميسون ووجدت أن والدها نقل للمستشفى ميتا ، وحل الحزن بين أقارب الطرفين خاصة أقارب ليلى ، فأما ناهض فلا أقارب له في البلاد ، هو مناضل من بلد آخر ، ونشرت الصحف في الصباح خبر اغتيال ناهض الغامض ، ثم وجدت الشرطة سيارة على طريق دولي وفيها جثة مقتولة رميا بالرصاص ، فترجح لديهم أن القاتل قد قتل من قبل رفاقه واحتفى من كانوا معه شخصا واحدا أو اكثر

قامت عائلة ليلى بتشييع جثمان ناهض بعد الإفراج عن جثته بعد التشريح الطبي وانتهاء المعاينة وقامت عائلة فارس بدفن فارس ، وأعلنت الشرطة أن جريمة ناهض جريمة سياسية ومنفذها من خارج البلاد ، وانهم يبحثون عن مرافقيه في الاغتيال ، وخضعت ليلى للاستجواب لمعرفة

ملابسات الحادث ، وربط بين اغتياله واتصالهم بفارس تلك الليلة .. وهل كان القتل مخططا له قبل الاتصال ؟ ولم يثبت أن اتصالا خرج من بيت فارس سوى اتصاله ببيت ليلى ثم بجيفارا لما تأخر وصول الضيوف واغلق ملف القضية حتى تحدث تطورات أخرى واتهمت جهات معينة بتدبير حادث الاغتيال الغادر .

***

خيم الحزن القاتل على بيت صعب لحزن جيفارا على والدها ، وما حزن يدوم ولا فرح ، فالمرء بين حزن وفرح وبين ضيق وفرج ، ورغم هذه الأوجاع صمد الحمل أمام تلك العواصف حتى جاء موعده المقرر عند الله ، ونقلت لمستشفى الولادة وبعد أيام من المتابعة وضعت المولودة بسمة بصحة جيدة ووزنا طبيعيا ، وحلت السعادة على الأسرة ، ثم عادت الوالدة وابنتها للبيت يحتفلون ببسمة الصغيرة ، وأما ليلى فبعد ذهاب اثر الصدمة عادت للعمل في الجامعة التي توسط لها ابن عمها للعمل فيها قبل اغتيال زوجها ، وكانت تفكر بالعودة للعمل في أمريكا ، وكانت تقول : وماذا سأفعل هناك ؟ لا أهل ولا أقارب كنا في حالة اختفاء دائم .. كنت أظن حرص ناهض على الاختفاء والتستر وسوسة وهوس .. لماذا قتلوه ؟! كيف عرفوا بأننا سنخرج لزيارة فارس ؟ هل التلفون مراقب ؟ هل هذه الخادمة جاسوسة ؟ إنها فلبينية ويزيد عمرها عن الخمسين .. هل خدعها احدهم ؟ لقد جننت يا ليلى .. هل كنت تحت المراقبة منذ عدت ؟ هل ستكشف الأيام المؤامرة ؟ أنا لم انضم للجبهة يوما ما .. كان أبي هو من فيها .. لماذا يعاقب ناهض بعد عشرة سنين ؟ ما كان موقعه الحقيقي معهم ليتربصوا له كل هذه السنوات ؟! لم يكن صريحا تاما معي بأسباب الانشقاق والهرب .

صعبت الحياة على ليلى بدون معرفة السبب الحقيقي لمقتل ناهض .. لكنه منذ عاد لاحظت انه كان كثير الحديث على التلفون بوجودي وغير وجودي.. ولم اكترث واهتم بمن يتصل .. هل اخبر ناسا برغبته بزيارة فارس والحديث معه ؟ ليرتبوا له هذا الكمين

تحدث معها عمها فهد بعد شهور عن فكرة الزواج من أبناء العائلة بدلا أن تظل وحيدة تعيش

في هذا القصر ، فاعتذرت له عن ذلك المشروع وعليها الانتظار والصبر فليست من عجلة بالزواج ولا تخشى على حياتها من خصوم زوجها الراحل، وقال مودعا : أنا والعائلة يهمني سعادتك وكلنا قلقون على حياتك

***

عندما بلغت بسمة صعب ستة اشهر رحلت بسمة الكبيرة عن الدنيا إلى الدار الأخرة هي تعبت كثيرا قبل ولادة حفيدتها بسمة ، وقدر لها أن ترى أول ابنة لابنها صعب الشقي ، فهي تعتبره اشقى من أنجبت ، ودفنت في مقبرة حي أبو النمل التي ما زالت تستقبل أموات الحي ، وفيها متسع لغيرهم ، وتنازل الأخوة بعد حين عن حصتهم في ميراث بيت الوالدين لصعب ، فشكرهم وغمرهم شكرا وقال : ها هو البيت يا جيفارا اصبح ملكنا خاصة !

ـ مبارك علينا يا صعب ! أحببت امك كما أحبتني .. لم اشعر بعداء بيني وبينها في يوم ما ؛ بل شعرت بحبها لي اكثر من حب أمي لي مع أنها لم تتعلم في جامعة مثل أمي

ـ أمي طيبة ! منذ وعيت على الدنيا كانت تدافع عن هفواتي أمام أبي .. لأن أبي تضايق جدا لما هربت من المدارس ، وكثر غيابي وشكوى المدرسة مني .. لقد كرهت المدرسة والأساتذة بعكس إخوتي الآخرين وهذا لم يعجب أبي .. كان يريد لي أن أسير على دربهم

ـ الأمر لله

ـ كان ابن عمي فهد طراد الفاشل في المدرسة له تأثير عليّ نلك الأيام .. ولم يكن اكبر مني إلا بشهور لكني كنت أراه رجلا فهمان اكثر من إخوتي بشؤن الدنيا والمال .. غباء

***

ياقوت

تلقت جيفارا رسالة غريبة من أختها مارسيل التي قد حضرت لشهود جنازة أبيها، وقضت ثلاثة أيام مع أخواتها وجاء في الرسالة أنها قابلت شابا ابن عشرين في المستشفى الفرنسي حيث تعمل هي وزوجها ميشال وتظن انه ابنها المخطوف والمفقود ياقوت بعد أحداث صبرا وشاتيلا وحرب ٨٢ ، والتقت به وتحدثت معه ، وهو قد بين لها انه لا يعرف مصير أهله واعتقد انهم هلكوا أثناء الحرب والغارات وقد حبس في معتقل انصار .

معسكر اعتقال أنصار هو اسم أطلقه الفلسطينيون واللبنانيون على معسكر اعتقال إسرائيلي أُقيم في جنوب لبنان عام ١٩٨٢ ، وقد تم فيه احتجاز الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان ، كان يحتجز فيه الفتيان والشيوخ دون تمييز بين صغير وكبير فكانوا يعتبرون كل فتى شبلا في المقاومة الفلسطينية واللبنانية .

أُقيم المعتقل في منطقة بالقرب من بلدة أنصار جنوب لبنان ، شرق النبطية ، بُني على موقع كان تابعاً لمنظمة التحرير الفلسطينية حيث كان هناك مدرج مطار كان أغلب المعتقلين من الفلسطينيين الذين اعتقلتهم القوات الإسرائيلية من المخيمات الفلسطينية في لبنان، بالإضافة إلى بعض اللبنانيين.

معتقل أنصار أقامه جيش الاحتلال الصهيوني إبّان احتلاله لجنوب لبنان افتتح في ١٤ يوليو ١٩٨٢ في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي للبنان ، وتم زجّ الألوف من اللبنانيين والفلسطينيين فيه وقد أجبرت المقاومة اللبنانية القوات الإسرائيلية على الانسحاب من بيروت والجبل وصيدا والزهراني وصور والبقاع الغربي ، واكتمل الأمر بإقفال معتقل أنصار في ٤ أبريل ١٩٨٥ .

***

أوتيل ديو دو فرانس هو أحد المراكز الطبية اللبنانية الرائدة الثلاثة ، وأقدم مستشفى فرنسي نشط في بيروت، لبنان، يقع في شارع الفريد النقاش، بيروت، يعود أصل الفندق إلى عام

١٨٨٣ عندما وضعت اتفاقية بين الحكومة الفرنسية واليسوعيين لإنشاء كلية الطب في بيروت استمرت الكلية في التطور حتى عام ١٩٧٥ ودمر المبنى جزئيًا خلال الحرب الأهلية وتعرض لأضرار جسيمة ، وبعد نهاية الحرب استمر في التطوير والتوسع ، وفي عام ١٩٨٤ ، تم تعيين المستشفى رسميًا في جامعة القديس يوسف المسؤولة عن إدارته المباشرة ، وظلت ملكًا للحكومة الفرنسية ١٩٨٤ نقلت إدارة المستشفى إلى جامعة القديس يوسف، وبقي ملكًا للدولة الفرنسية.

***

اتصلت جيفارا بالمستشفى الفرنسي ببيروت ولما ردت مارسيل قالت : ما قصة ياقوت ؟

قالت بعد السلام والسؤال عن بسمة الصغيرة : شاب صغير يعمل في المستشفى في قسم الصيانة يشبه ياقوت عندما فقد وعمره عشر سنوات أو احدى عشر بعد أحداث صبرا والقتل والخطف يقول إنه قضى سنوات في معتقل انصار ، ثم اغلق المعتقل وتبناه جماعة في صيدا كمحارب صغير ثم تفككت الجماعة بعد أحداث المخيمات ٨٥ واستقر في بيروت يعمل في تصليح المواسير والحمامات ، ثم عينه احد النصارى عامل صيانة في المستشفى الفرنسي وما زال ولما سألته عن مصير أهله قال قيل له انهم هلكوا أثناء الحرب .. ونحن كنا قد غادرنا لبنان لسوريا ثم عدنا لبلد أبينا فظن أننا متنا أثناء الحروب الكثيرة في لبنان .

ـ كيف سأراه ؟

ـ تعالي بيروت

ـ افضل أن تصحبيه لمصر وعلى نفقتي أنا لك وله .. لا أريد أن أقابل أمي أو أحدا ممن عرفتهم في بيروت

ـ سأحاول اذا اقتنع .. وافهم من كلامك أن لا تسافر أمنا معنا .. على كل حال هي مريضة جدا على وشك الرحيل

ـ لما ترتبي الأمور سأقول لك أين نلتقي بمصر .. فأنا دخلتها اكثر من مرة مع زوجي والد

ياقوت كسياحة وتغيير جو

ـ ماشي .. هل من حمل جديد ؟

ـ لا نحب العجلة .. وأنت هل حملت من الفرنسي اللعين ؟

ـ لم احمل ولن نحمل لا نرغب بذرية لا أنا ولا هو .. حتى حياتنا صعبة رغم عملنا في مكان واحد

ـ إلى اللقاء في مصر

***

قبل ياقوت السفر لمصر ليقابل امه ، وهو يأمل أن تكون امه فعلا ؛ لأنه علم من مارسيل أن أباه قتل فعلا أثناء عمله في العيادة الثورية ، وأن امه لم تكن تعمل ذلك الليل بسبب وعكة صحية منعتها من الذهاب ، رتبت الأمور مع جيفارا التي صحبت زوجها لزيارة مصر ورؤية ابن زوجته المفقود من أيام الاجتياح اللعين ؛ حيث فقد الناس ، فمنهم من مات ومنهم خطف ومنهم فقد ، وهذا حال الحرب الأهلية والعدوانية وقسوتها .

اختارت جيفارا احد فنادق القاهرة واسمه فندق قمر القاهرة مكانا للقاء ، ووصلت اليه مع زوجها ، وقد تركت ابنتها في رعاية أختها ليلى ، وفي الليل وصلت مارسيل وياقوت إلى الفندق



ولم تكد جيفارا تراه حتى احتضنه وهي تبكي وتقول :

والله انه ابني والله هو ابني يا مارسيل !

وقبلته وقالت : أنا امك لقد علمنا انك خطفت من قبل الكتائب أو الإسرائيليين لم نجد جثتك يومذاك وقلنا الأرجح انهم خطفوك يا حبيبي أبوك رحمه الله قتل في قصف للعيادة ، ونجوت أنا لأنني تلك الليلة كنت متعبة ومريضة من شدة الإنفلونزا .. هل تشك بأني أمك ؟

قال ولم تدمع له دمعة : لا اشك أنا قلبي يثق بأنك أمي ولكنني حزين لمقتل أبي عشت في معسكر

انصار في الجنوب ، وهناك عرفت جماعة ثورية ترغب بالانتقام فذهبنا بعد الإفراج إلى صيدا ثم انشغلنا بحرب المخيمات ، وتعلمت مع احدهم مهنة تصليح المواسير والحمامات .. تعلمت السباكة ، ثم انتقلت لبيروت للعمل في نفس الحرفة .. وقيل لي أن اهلك ماتوا وأن جدك فارسا قطعت رجلاه وانتقل للشام ، ثم اشتغلت في صيانة المستشفى حتى التقيت بخالتي وهي متشككة هل أنا ياقوت أم شبيه ياقوت ؟

عرفت صعبا وياقوتا على بعضهما وتعانق صعب بالشاب ياقوت ، ثم خرجوا لتناول الغداء في مطاعم القاهرة وقالت مارسيل وهي تمشي بجوار أختها : أمتأكدة انه ابنك ؟

ـ ما زلت تشكين !

ـ لا يملك أي وثيقة تدل على انه ياقوت فايز باسيل ..

ـ كيف سافر؟

ـ معه جواز مثلنا ؛ لكن لم يكن اسمه فيه ياقوت باسيل له اسم آخر

ـ ما هو ؟

ـ قال أنه يحمل اسم رجل من صيدا عمل له هوية وجواز سفر

ـ انه ابني ، وهو يعرف اسمه واسم أبيه فايز ، فهو لما فقد لم يكن لديه بطاقة ولا جواز يا مارسيل

ـ عليك أن تدققي في هويته

ـ وماذا يستقيد من الانتماء إلينا ؟

ـ لا اعرف ولا ادري هو يشبه السيد باسيل شبه كامل !

***

قالت جيفارا لصعب : إن مارسيل تشك أنه ابني .. مع انني متأكد انه ابني

ـ ولماذا تشك ؟

ـ هو يشبه زوجي كما تقول ؛ ولكنه يحمل وثائق إثبات غير ذلك.. فهوية باسم آخر وجواز كذلك هل من حل لإثبات نسبه إلي ؟

ـ هذه سهلة يا جيفارا .. لكن قد نضطر للبقاء هنا عدة أيام

ـ لن نسافر غدا

ـ سنذهب لمختبر جينات وفحص الحمض النووي لك وله

ـ فكرة راحت عن بالي .. هل سيقبل تراه؟

ناقشت الفكرة صباحا مع مارسيل وياقوت فقال : خالتي مع أنها هي التي عرفتني وقالت انك نشبه شخصا اعرفه ولما رأت هوية الحكومة قالت أنت اسمك ياقوت باسيل فقلت لها غيرت اسمي لأنني لا املك أي وثيقة قبل اسري وحبسي .. وعلى كل سأذهب معكم لاختبار الدي إن إيه ليطمئن قلبي وقلب خالتي التي زرعت الشك في قلبك

بحثوا عن مختبر يقوم بمثل هذه الاختبارات التي تبين الصلة بين شخص وآخر من حيث القرابة والنسب .

***

فحص الحمض النووي (DNA) هو تحليل للمادة الوراثية (DNA) لتحديد الصفات والبصمة الجينية للأفراد ، ويشمل استخدامه التحقق من النسب البيولوجي مثل الأبوة ، والتشخيص الطبي للأمراض الوراثية ، وفي مجالات علوم الطب الشرعي والرياضة يتم إجراء الفحص عادة بأخذ مسحة من داخل الخد الحلق ، أو عينة دم ، أو نسيج آخر ، ويقدم معلومات دقيقة حول التركيب الجيني للشخص، مع التركيز على الدقة العالية في المختبرات الموثوقة يحتوي كل جزيء DNA على تعليمات وراثية لبناء البروتينات الضرورية لوظائف الجسم، ويحصل الفرد على نصفها من الأم والنصف الآخر من الأب ، وأهم استخدامات فحص DNA فحص النسب: لتأكيد أو نفي صلة القربى البيولوجية بين الأفراد، مثل فحص الأبوة

يتم الحصول على المادة الوراثية من خلال مسحة داخل الخدين ، أو عينة دم، أو نسيج آخر يتم تحليل هذه العينة في مختبر متخصص لتحديد التكوين الجيني للشخص مقارنة بشخص آخر يتمتع فحص DNA بدقة عالية جداً ، تصل إلى ٩ ,٩٩٪ لتأكيد الروابط البيولوجية و١٠٠٪

لنفيها، وهذا يعتمد على جودة المختبر الموثوق والمرخص

الجهات التي تقوم بإجراء فحص DNA: المختبرات الطبية: تجري فحوصات DNA لتحديد الطفرات الجينية والأمراض الوراثية، أو لفحص الدم .

الشركات المتخصصة في اختبارات الأنساب: تقدم خدمات اختبار الحمض النووي للمستهلكين، حيث يتم جمع العينات وإرسالها إلى المختبرات التابعة لها لإجراء التحاليل .

مختبرات التحقيقات الجنائية: تستخدم فحوصات DNA في سياق التحقيقات لتحديد الهوية الجنائية .

المختبرات القضائية: تقوم بإجراء الفحوصات بناءً على أوامر صادرة من المحاكم في قضايا تتعلق بالروابط العائلية، مثل فحوصات الأبوة .

ما يجب التأكد منه عند إجراء الفحص: الاعتماد والترخيص: التأكد من أن المختبر أو الجهة التي تجري الفحص تحمل ترخيصاً معتمداً، التأكد من أن الجهة المختصة لديها الخبرة في نوع فحص DNA المطلوب .

تستغرق اختبارات الأبوة ما يقرب من ٢ إلى ٥ أيام للمعالجة بمجرد استلام العينات من قبل المختبر لاختبارها . . الفحوصات القياسية مثل اختبارات الأبوة قد تستغرق أيامًا قليلة، بينما قد تستغرق الفحوصات الجينية المتخصصة وقتًا أطول تتراوح مدة ظهور نتائج فحص الحمض النووي (DNA) غالبًا بين يومين إلى ١٢ أسبوعًا ، وتختلف حسب نوع الفحص والمختبر المُعالج، بينما يستغرق الفحص الجيني الأعمق أو المتخصص وقتًا أطول، قد يصل إلى أسابيع أو أشهر

***

ظهرت النتائج الأولية للفحص الجيني تبين أن جيفارا أما لياقوت وثبت أن بينه وبين مارسيل صلة قرابة ؛ لأنهم اخذوا عينة دم منها فأمام هذا الواقع عانقت ابن أختها وهي تقول : الآن أنا خالتك يا ياقوت ستحتفظ بالوثائق التي تملكها لنفسك أمام القانون وسنناديك بياقوت هل

انتهت المهمة يا أم ياقوت ؟

قال صعب : الحمد لله انك عدت إلينا بعد كل هذه السنوات من العذاب ، وستسافر إلى بلدنا بإذن الله .. يا سيدة مارسيل كان غضبك من الوالد للقضاء المقدر والزواج من ذلك الفرنسي لترى جيفارا ابنها الضائع

ـ شكرا سيد صعب وأنا سعيدة بوجودك مع امك سيد ياقوت .. وسيدهش ميشال عندما اذكر له انك فعلا ابن أختي الكبرى .. هل سيعيش معك سيد صعب ؟

قال صعب : بالتأكيد سيعيش معنا .. البيت واسع بفضل الله وهو له أخت مني سميتها على اسم أمي اسمها بسمة .. وسيجد العمل في ديارنا كما هي في دياركم يا سيدة مارسيل وسلمي على ميشال وعلى حماتي واخبريها أن المنزل اصبح باسمي وحدي .. تنازل إخوتي عن حصصهم في الميراث لي

ـ فعلت أمي تلك الشروط التعيسة لفركشة الزواج .. أمي تتعقد من رؤية أصحاب الأيدي المقطوعة والأرجل لا ادري لماذا عندها هذه العقدة ؟! مع أنها لم تتزوج غير أبي ؛ ربما لعملها في مالية المستشفيات ورأت الكثير منهم .. فهذه الفئة تحتاج لجهد اكثر يا سيد صعب

ـ الحمد لله تزوجنا ونحن نعيش سعداء والله هداني بعد ضلال وجهل

ـ قالت جيفارا انك تحولت من اليسار لليمين وأتمنى لكما كل خير وتوفيق .. اليوم شيوخ لبنان يتحكمون فينا وفي الشارع جهاد جهاد

***

انتهت رحلة القاهرة بعودة ياقوت المفقود والمخطوف إلى امه جيفارا التي كانت سعيدة بلقياه واكد الفحص الجيني انه ابنها وان شكوك مارسيل ليست في محلها وانتشر خبر عودة ياقوت في شارع سيدو عدنان مثل انتشار النار في العشب اليابس ، وأقبلت ليلى تسلم على ابن أختها الذي فقد وبكوه في بيروت ، وعاش في بيت صعب وجيفارا كابن لهما ، وتحدث مع شقيقه محمود ليعمل مع شركة تمديدات صحية وتدفئة مركزية حسب عمله في مستشفى بيروت الأثري

فقابله محمود وأوصى مهندس التمديدات بإلحاقه بالمتعهدين الذي يعملون معه ، فهو ابن زوجة أخيه صعب ، فوجد ترحيبا من المهندس ومن المقاولين لمثل هذه الأعمال الشاقة .

واخبر مكتب بيع العقارات والأراضي جيفارا أن احدهم قبل شراء بيت الوالد فارس ويريد التفاوض على السعر ، فذهبت وشقيقتها لمكتب العقارات بترتيب من المكتب وجاء المشتري واتفقوا على السعر المناسب لكل طرف ، كانت العمارة مكونة من طابقين شقة لفارس وشقة لآخر ، وبعد انتقال ملكيتها للمشتري تم تقسيم المال بين الأخوات الثلاث وحضرت مارسيل للتوقيع على البيع وأخذت حصتها وقضت أيام وجودها بين بيتي أختيها وقبلن ضيافتها ، ولم تنزل في أي فندق ، وكانت جلساتها مع ياقوت مثيرة للجدل فهي عرفته في المستشفى ، فصارا يثيران قصة لقائهما أول مرة في عيادة احدى أقسام المستشفى عندما تطلعت اليه قائلة : ما اسمك يا معلم ؟ فقال : أنا حسن قالت : حسبتك ياقوت فانت تشبه ابن أخت لي فقال معترفا : أنا اسمي القديم ياقوت وهكذا بدا اللقاء ثم تطور فكان هو ياقوت ابن جيفارا وزوجها فايز باسيل

***

مرض ليلى

مضى اكثر من عام ونصف على وفاة ناهض حتى قبلت ليلى كايد بالزواج من دكتور مطلق يعمل معها في جامعة الشعب ، وقبل عمها فهد والعائلة اختيارها ، وهذا الدكتور قد تزوج مرتين ويفشل زواجه لعجزه عن الإخصاب والإنجاب ، وهذا الذي شجع ليلى على القبول به كزوج وشريك حياة ؛ لأنها بعد موت طفلها الوحيد بأمريكا وزعمهم أن سبب موته غامض ونادر ؛ بل مجهول سقمه كرهت الإنجاب أي أنها تريد مجرد زوج فحصل الزواج ، والهدف من الزواج سوى المتعة الجنسية والشهوة هو الولادة وتكثير النسل والنوع ، والذي حصل أن ليلى بعد اشهر يسيرة من الزواج أصابها مرض بدأ بالسعال والقحة واستمر اكثر من شهر ، ولم يتحسن الوضع الصحي حتى في كثير من الوقت تعجز عن المشي وإلقاء المحاضرة فتركت الجامعة في إجازة ، ثم يخف المرض أياما ويعود ، فقررت السفر لأمريكا للعلاج ، فهي تحمل جنسية أمريكية لعيشها سنوات طوال هناك ، وحصلت على تلك الجنسية الدولية ، فيمكنها السفر في أي وقت وحين ، واعتذر زوجها وزميلها في الجامعة من السفر معها ومرافقتها ، وسافرت وحدها لولاية فرجينيا حيث كانت تعيش وتعمل في احدى جامعتها ، وراجعت مستشفى الجامعة وكلية الطب وقاموا بدراسة تقارير مستشفيات بلدها الأصلي وملاحظات الأطباء والصور الطبية والتحاليل ، وبعد حين بينوا لها أنها تحمل مرضا وراثيا

***

الأمراض الوراثية هي اضطرابات ناجمة وتحدث عن تغيرات أو طفرات في الحمض النووي DNA والتي تنتقل من الآباء إلى الأبناء عبر الخلايا الجرثومية ويمكن أن تتسبب في خلل بوظائف الجسم . . قد تنتج هذه الأمراض عن خلل في الكروموسومات أو الجينات ، ويمكن أن تؤثر في وظائف الجسم .. تشمل الأمثلة أمراضًا مثل التلاسيميا، وفقر الدم المنجلي، ومتلازمة داون ، بالإضافة إلى أمراض أخرى تنتج عن عوامل وراثية وبيئية مثل بعض أنواع السرطان والسكري .

يمكن لتلك الأمراض الجينية أن تظهر عند الولادة أو تتطور لاحقًا خلال الحياة .

فمنها الأمراض أحادية الجين: تحدث بسبب تغير في جين واحد ، مثل داء ترسب الأصبغة الدموية . . ومنها الأمراض الكروموسومية: تنتج عن تغيرات في عدد أو بنية الكروموسومات، مثل متلازمة داون ..ومنها ما يجمع بين عوامل وراثية وعوامل بيئية ، مثل السكري وبعض أنواع السرطان .. ومنها أمراض الدم :مثل التلاسيميا وفقر الدم المنجلي..ومنها أمراض العظام والعضلات :مثل ضمور العضلات دوشين.. ومنها الزهايمر

تحدث الأمراض الوراثية والاضطرابات الجينية عندما تؤثر طفرة على الجينات لدى الإنسان إلا أن وجود الطفرة الجينية لدى أحدهم لا يعني بالضرورة إصابته بأحد الأمراض الوراثية!

***

فكان لابد من مزيد من التحاليل والتعمق في دراسة حالة ليلى كايد ، وهذا يحتاج لوقت وتأني حتى يثبت العلاج المناسب والملائم لمرض ليلى ، وقد تتكيف مع المرض الوراثي كما يحصل مع مرضى السكري وغيره من الأوجاع التي لا علاج قطعي لها ، ونتيجة لذلك أرسلت لعمها فهد بأن يطلقها من زوجها ولا تريد منه مالا ومؤخر زواج ، وهذا ما حصل ؛ بل كان ينتظره خشية دفع الأموال لعلاجها المجهول في اغنى دولة في العالم ..

***

وضعت جيفارا مولودها الثاني بسلام وسعادة وسمي شفيق كما سموا البنت على اسم امه سمي الذكر على اسم والده ، ولم تعارض جيفارا ؛ لأنها تحمل اسم أم ياقوت ، ولم تحمل اسم أم شفيق ، وكان فرح أعقبه مأساة كبيرة لها ، ذات نهار صعدت سيارة على الرصيف منحرفة عن شارع السير وخبطت بكوخ صعب فانهار عليه ودخلت السيارة المسرعة بالكوخ ونقل الرجل إلى المشفى محطما ولم يمكث طويلا ، وترملت جيفارا للمرة الثالثة ، وبكت زوجها الثالث بكاء شديدا ابكى من رآها وحزن لحزنها واشفق عليها ، ثم قام محمود بعد حين يسير بتغيير اسم المولود من شفيق لصعب فاصبح الطفل يحمل اسم أبيه الميت .

خيم الحزن على أم ياقوت وارتمت في الفراش بين صداع وعيادة وتابع ياقوت زيارة السفارة الأمريكية وكان قد فعل ذلك قبل الالتقاء بأمه في لبنان ساعيا للهجرة لتلك الدنيا ، وأثناء مأساة جيفارا وترملها الثالث حصل على تأشيرة زيارة للولايات المتحدة لمدة اشهر ثلاثة فاخبر خالته ليلى بالأمر ، وطلب منها ألا تخبر امه إلا بعد سفره ، وهذا ما حصل ، ولم تحزن كثيرا جيفارا على فراقه ، فهي في حالة حزن منذ موت صعب ، فقد تعودت على ضياعه من عمر طويل ؛ بل كانت تخطط مع صعب لتزويجه لما يستقر في العمل بشكل مقبول ، رحل الشاب ، ولم يترك رحيله أثرا مهما على عائلة صعب ، فهو ليس ابن العائلة ؛ فأولاد صعب من امه اهم منه في نظرهم ، وهو سابقا كان قد تحدث عن رغبته بالسفر والهجرة لكندا أو أمريكا وله طلبات في سفاراتهم في بيروت .

***

دخلت بسمة صعب المدرسة الرسمية ، قبلت في الصف الأول فقد بلغت السنوات الست من عمرها ، وكان محمود يتفقد جيفارا ويزورها بصحبة زوجته أو احدى بناته يسمعون طلباتها وحاجاتها ويطلبون منها ألا تنفق من مالها شيئا ؛ بل تدخره ، وكانت تعطى نفس المبلغ الذي كان يهبونه لصعب ، ولم تعترض وقبلت كل شيء منهم فهم أولياء البنت والولد ، وقام الأخوة بشراء سيارة جديدة لها لتوصيل ابنتها للمدرسة بنفسها بدلا من الحافلة المدرسية ، وأعطت السيارة القديمة لأختها ليلى بعد عمل صيانه لها ، وقبلت ليلى السيارة من أختها فزوجها يملك سيارته ، فكانت تذهب للمدرسة تنتظر خروج بسمة على باب المدرسة ظهرا بدون أي حرج لأنهم قالوا لها اذا أنت عاجزة عن القيام بالمهمة سيكلفون سائقا مستأجرا لهذه المهمة ؛ كما يفعل الكثير من أباء الأطفال ، فالبعض لا يحب نقل أبنائهم بباص وحافلة المدرسة .

اتصلت مارسيل ذات ليل مخبرة اختها الكبرى بموت أمها مستفسرة هل ستحضر الدفن ؟ فاعتذرت وقالت : لبنان بلد المآسي والذكريات الأليمة يا مارسيل فقدت زوجين فيه وأصدقاء وأحباب وأصيب أبي فيه كما تعلمين ولدي أطفال لا احب فراقهم ولا دقيقة واحدة هم حياتي

قالت : كما ترغبين .. أنا بعد الجنازة سأسافر باريس فميشال سافر من شهر .. لم تعد حياتنا الخاصة طيبة سأسافر للتفاهم أو الانفصال لم يعد زوجا .. خمر خمر خمر

ـ هل تقاعد؟

ـ تقاعد من شهور وربما بلغ الستين لم يكن صغيرا لما تزوجنا قلت شيء احسن من لا شيء .. لا ترغبين بالمشاركة

ـ لا ، أي تكاليف تلزم للدفن سأرسل لك ما يستحق علي

ـ مال أبي موجود وداعا جيفارا .. اذا فشلت في ترميم حياتي مع ميشال قد اسكن عندكم لم يعد شيء يربطني ببيروت فأنا مثلكن ابن بلدكم الطيب

***

غادرت مارسيل فارس بيروت وقد قدمت استقالتها للمستشفى والإدارة ولحقت بميشال على العنوان المعروف لها ، ولما وجدته في المنزل الخاص به ويملكه قبل العمل ببيروت ، فبعد ترحيب والخروج للعشاء قال لها : هل ستنامين في المنزل أم انك تنزلين في الفندق ؟

ـ أنا حجزت الفندق لليلة واحدة وقد مضت .. ألا يوجد وسع لي في منزلك؟ أيعيش احدهم معك ؟

قال مقرا : ، تعيش معي امرأة للتسلية .. لي اشهر بدونك .. وأنت في الآونة الأخيرة أصبحت مملة في ممارسة الحب

ضحكت وقالت : ميشال ! وهل أنت صالح لممارسة الحب ..أنت مشكلتك وعقدتك لا تعترف بعجزك وضعفك .. أنا لم آتي لأنام في حضنك ومشتاقة لك .. أنا جئت لنتفاهم على صفة العيش معا أو نعلن الانفصال .. لا تظن انني متلهفة لأحضان الرجال .. فمن تعمل مثلي في التمريض ترى ضعف الرجال وكثرة دخولهم للمستشفيات بسبب ما يأخذونه من المنشطات وما يحدث لهم من سقم وألم .. فالناس يمكن أن تعيش بدون علاقة مجرد زوجين .. وأنت عليك أن تقتنع بذلك .. فكل الأدوية التي كنت تتعاطها لم تفدك بشيء ؛ بل كنت اشفق عليك من

فشلك في كل علاقة وماذا تفعل لك التي في بيتك ؟

ـ نتسلى .. فعلا هذه الأدوية التي يعلنون عنها صباح مساء غير فعالة يكذبون على الناس يزعمون أنها تعيد الشباب والقوة ..أنا سأعلن الانفصال بروح رياضية .. يوما أتسلى مع هذا وآخر مع تلك

نهضت قائلة : سأذهب لفندق واتصل بك لترتيب الطلاق والعودة لبيروت .. فعلينا أن نعجل قبل فصلي من العمل

اركبها في سيارة وقال: صباح الغد نلتقي ..كلي أسف لفشل حياتنا الزوجية

ـ إلى اللقاء لا داعي للأسف

***

ابن صعب

خلال أيام انفصلت مارسيل عن زوجها بقرار محكمة فرنسية تهتم بالأحوال الشخصية في فرنسا فرنسا كغيرها من دول أوروبا يعتمدون على الزواج المدني ؛ فلذلك تسهل عملية الانفصال والذي يعقيها أحيانا التسوية المالية بين الطرفين ، ولم يكن بينهم ثروات تحتاج لنزاع فلما انتهى الانفصال ركبت الطائرة لوطنها ووطن فارس أبيها وعائلته ، ووافقت جيفارا على عيشها معها حتى حين .

كان يشغل بال جيفارا الأخت الكبرى أن تجد زوجا لأختها فاتصلت بقريبهم نضال فهو الذي سعى لزواجها من صعب وسعى إلى تزويج ليلى ، فقبل نضال المهمة وكانت مارسيل اصغر أخواتها سنا وهي قريبة من الأربعين وقد نكحت ميشال وهو يكبرها بعشرين سنة

***

مضت أيام قبل أن تتصل بنضال وترى ما فعل فقالت : ماذا حدث ؟

ـ أنا مهتم فعلا بزواج شقيقتك ، فهي ابنة عمي كما هي أختك .. وكلمت عمك أيضا وانا فكرت بالزواج منك أنت

ضحكت وقالت : أتريد أن تموت ؟ وأين زوجتك ؟

ـ أموت ؟!

ـ كل من تزوجت به يا نضال مات ترملت عن ثلاثة

ـ آ فهمت .. ترفضين

ـ نعم ارفض سأبقى أرملة واربي الأيتام .. تزوج من أختي مارسيل قد تقبل فيك وانتم تعرفون بعض .. ولم تقل لي أين امرأتك ؟

ـ موجودة رغبت بالتعدد .. صدقي فكرت لما اتصلت بي بشأنها لكن مارسيل صعبة الانقياد

ـ مارسيل يا نضال ترملت مثلي في لبنان وتزوجت الفرنسي للبقاء عند أمها والرجل سهل لها العمل في المستشفى الفرنسي .. فهو كان يعمل إداريا ويكبرها بسنوات ولما انهى الخدمة تركها

وسافر وسافرت للانفصال ، ثم جاءت إلي ؛ لأن هذا وطنها فهي مثلي ابنة فارس قريبكم

ـ اعرف اعرف يا جيفارا .. أنا احتككت بها في لبنان .. واعرف زوجها فهو احد شباب الثورة مثلي .. على كل حال سأفكر فيها ما دمت تخشين عليّ الموت .. ولا احد يفر منه لم نر أحدا خالدا يا جيفارا

ـ لا ارغب بالزواج لدي طفلان بحاجة لأم ورعاية فكر بمارسيل وسأمهد لك الطريق عندما أتلقى الإشارة الإيجابية

***

قالت مارسيل لما دخلت حيث تجلس جيفارا تتحدث بالتلفون : سمعت اسمي مع من تتحدثين ؟

ـ الأخ نضال الذي جمعني بصعب والد بسمة وصعب ابن عمنا

ـ ماذا تريدين منه أو يريد منك؟

ـ طلبت منه أن يجد لك زوجا كما وجد لي ولليلى

ـ وهل بعد هذا العمر أتزوج يا جيفارا ؟

ـ أنت دون الأربعين وليس العريس على الباب .. يرغب بالزواج مني فقلت له من يتزوجني يموت .. ولا ارغب بالترمل على رابع لدي أيتام وسأعتني بهم

ـ هل العيش بدون زواج لا ينفع ؟

ـ ينفع .. والزواج نعمة إلهية والناس بحاجة اليه .. فانت لماذا تزوجت ميشال العجوز ؟!

ـ كان يلاحقني كالفراشة حول الضوء ، فاستسلمت للزواج بدلا من العلاقة خارج الزواج والكلام اللاسع حول ذلك .. فقبلت به فسكن .. ولم يكن زوجا بمفهوم الزواج جرب جميع أدوية التنشيط دون فائدة شريك سرير .. ولما ذهبت فرنسا وجدت عنده عشيقة

ـ شيء مخجل

ـ زعم انه يتسلى بها .. قضية مال كم ريال فجرا ومع السلامة

عادت ليلى كايد بعد رحلة علاج لم تثمر كثيرا ، واخبرها احد أخصائيين علاج الأمراض الوراثية بعد سماعه لقصة مرض ابنها الغامض وقراءة التقارير القديمة أن عليها الزواج والحمل فمرضها يخف بالحمل والولادة ، وقد يزول أو يختفي ولما اقتنعت بوجهة نظره عادت للفيلا وبرفقة أخيها حسن وزوجته وبعض أطفاله الصغار ، وقدم بعض أقاربها لتحيتهم والسلام عليهم ، وأخبرت عمها بما حصل معها وان علاجها سيكون بالزواج والولادة فقال : هذا سهل إن شاء الله .. هل أي زوج أم دكتور كالذي سبق .. ؟

قال اخوها : رجل مثقف ولو حتى متزوج تناقشنا في ذلك يا عمي

ـ ضرة وهل ستبقين هنا في الفيلا ؟

قالت : أليس تقولون الشرع ليلة مع هذه وليلة مع تلك ؟

ضحك العم ومن معه وقال : صحيح .. واذا ولدت منه هل ستتطلقين منه؟

قالت : ولماذا أتطلق منه ؟ اذا خلفت ستستمر الحياة ما دمت قد قبلت بالتعدد سأبقى زوجة وفية يا عم .. هي لو قضية ولادة فقط لفعلتها هناك .. ففي أمريكا نساء يعاشرن الرجال حتى يحملن ويختفي العشيق ولا دخل له بالأم والتربية .. هذا الأمر فطرتنا ترفضه عدا ديننا .. تلك النسوة لا يهمهن من هو الأب المهم لديهن الطفل فقط

قال العم : أنا كنت أفكرك على دين كايد

قال حسن : كايد شقيقك دينه دين ستالين ولينين

ـ اعرف يا ابن أخي .. سأحدث ابني زيدا بالزواج منك فهو مثقف كما قال أخوك يعمل في التدريس وعنده خمسة مواليد

قالت : اذا وافق قبلت به ؛ لأن المرض هد قواي ؛ لعل الطبيب يصدق بتلك الوصفة الغريبة

تروجت ليلى كايد من ابن عمها فهد المدرس زيد رغم اعتراض زوجته بداية ثم قبلت ورضخت لقرار العائلة ، وأقيم حفل للأهل والأقربين وهم يستغربون لقصة هذا الزواج

***

اتصل المهندس محمود شفيق بجيفارا مغرب يوم وطلب منها زيارته في البيت بصحبة أبناء أخيه فذكرت أن أختها معها فقال : أهلا وسهلا بها هنا .. موضوع غريب اسمع رايكم فيه!

لبسن ثياب الخروج وصعدن إلى سيارة جيفارا فارس إلى فيلا محمود وبعد نصف ساعة كن يدخلن الفيلا ويستقبلن استقبالا حسنا معهودا لجيفارا ، ولما جلسن في صالة الاستقبال كانت تجلس مع زوجة المهندس امرأة وشاب دون العشرين كما بدا لهن ، وأول مرة يرونه ولما قدمت مشروبات الضيافة من العصير والحلوى قال المهندس للصبايا : عمرك رأيت هذه المرأة يا جيفارا وأنت يا أخت مارسيل ؟

هززن رؤوسهن بالنفي وقالت مارسيل : شكلها لبنانية ، ولكني أول مرة أراها

وقالت جيفارا مثلها وختمت : ما القصة يا أبا شفيق ؟

قال : القصة يا عمي انني كنت في المكتب مكتب الشركة للمقاولات ظهرا عندما قيل لي مندوب من السفارة اللبنانية يرغب بالحديث معي وبصحبته امرأة وفتى شاب .. حضروا من بيروت للقاء بك .. فطلبت دخولهم واستقبلتهم ، وكان معي احد مهندسي الشركة نتحاور حول مشروع جديد ستقوم الشركة بتشييده .. سلم الرجل المندوب وعرف بنفسه ولما جلسوا الثلاثة قال : الأمر غريب يا حضرة المهندس !

طلبت لهم القهوة فتابع الرجل قائلا : هذه المرأة جاءت من بيروت على السفارة برسالة من وزارة خارجية لبنان تطلب اللقاء بك

قلت : من لبنان وما علاقتي بلبنان !

فقال المندوب : هذه المرأة البيروتية تزعم أنها كانت زوجة لأخيك صعب شفيق اثناء عمله مع المنظمات الفلسطينية بلبنان

قلت دهشة : زوجة لأخي كيف ؟

فقال المندوب مخاطبا المرأة البيروتية : هذا شقيق زوجك صعب شفيق قصي القصة كما سمعتها منك في السفارة

قالت : نعم ، أنا زوجة لصعب شفيق .. بدأت القصة يا سيدي عندما كان أخوك يعمل حارسا أو بوابا لمكتب منظمة فلسطيني ، وكان مصابا بساقه ، وله ساق صناعي من البلاستيك أو الخشب كنت أثناء مروري من شارع المكتب يستوقفني ويعطيني سيجارة ومرات يشربني ويسقيني الشاي المهم صرنا شبه أصدقاء حتى عرض عليّ الزواج بما اني فقيرة ووحيدة في بيروت واعمل في المراقص والحانات ، وبعد حين من التردد قبلت وتزوجنا في السجل المدني اللبناني .. فهو لا يسأل الشخص عن طائفته أو دينه وعشت معه في بيته الصغير وهو عبارة عن غرفة واحدة وكان اغلب شغلي ليلا ولم يطلب مني ترك العمل وعشنا معا حتى أخبرته بأني أصبحت حاملا فغضب جدا ، وطلب من الإجهاض في جمعيات تهتم بذلك في منطقة النصارى شرق بيروت فرفضت واصر ثم هرب لسوريا كما قال زملاء المكتب ، وولدت بعد هربه في مستشفى للجاليات الأجنبية يفعلون ذلك بدون اجر وسجلته باسمه حسب ورقة السجل المدني التي تشهد بأني زوجة لفلان وبعد تحسن صحتي ذهبت لسوريا لمكاتب منظمته فلم أجده قالوا لي انه خائن ومرمي في السجن ، ولن يخرج منه إلا ميتا فعدت لابني وربيته من شغل الملاهي والمراقص حتى علمت بأن له أهل في هذا البلد ؛ حيث لم يحدثني عنكم كنت ظننته من تونس أو المغرب وصدقت انه لن يخرج من السجن إلا ميتا ومن اجل ابني الذي يلح بالبحث عنكم فذهبت بتوصية من أولاد الخير لوزارة الخارجية وصدقوا قصتي وأرسلوني لسفارة بلدكم هنا وها نحن هنا في مكتبك هذا الولد ابن السيد صعب شفيق

وتابع محمود فقال : وقدم المندوب وثيقة عقد الزواج المدني ووثيقة الميلاد من المستشفى الأجنبي لي واطلعت عليهن بروية .

ثم مد يده بهن لجيفارا ثم مارسيل ،فقالت مارسيل بعد النظر : وثيقة الزواج فعلا لبنانية ؛ لأنه هو الزواج المعمول به لمن يرغب بتوثيق علاقته ، وهناك لدينا يا سيدي المهندس توثيق المحاكم لكل طائفة ، وسبب شيوع هذا العمل في لبنان لاختلاط الزواج بين الطوائف دون اهتمام بالملة والعرق كفرنسا

قال المهندس : ولما اطلعت على الأوراق قلت : يا حضرة المندوب الفاضل الأمر يحتاج لتوثيق اكثر والتأكد من صحة وثيقة الزواج وسيقوم محامي بذلك ، وأيضا من صحة ولادة الطفل من أخي ؛ وليس من رجل غيره .. فهذه مع الاحترام تشتغل مهنة غير نظيفة .. سنقوم بفحص الجينات الطبي . قال المندوب : هذا حقكم القانوني

وقلت له ولها وللشاب : واذا ثبت صحة النسب سنعترف به ويصبح ابننا .. حتى ولو لم يثبت زواج هذه المرأة من أخي في السجل المدني .. هل فهمت عليّ يا سيدة دميانا هذا اسمها في عقد الزواج ؟هزت رأسها بنعم أمامنا ، يا سادة !

قالت جيفارا : لا يستغرب مثل هذه الزيجات في فترة الحرب الأهلية والاجتياح الصهيوني يا أبا شفيق .. لبنان كان مليئا بشعوب مختلفة تزعم النضال والحرب ، كنا نرى ناسا من أمريكا اللاتينية ومن أوروبا وآسيا ونساء أرامل أو فقدن أهليهن ولا يوجد عمل

قال المهندس : افهم عليك يا سيدتي .. سنقوم يا جيفارا مع دميانا ومع ابن أخي بالفحص الجيني الوراثي

قالت دميانا معترضة : أنا امه لماذا افحص ؟

قال باسما : لنتأكد انك امه .. الورقة يا سيدتي لا تثبت يقينا أنك امه قد تكون صديقة لك مطلعة على القصة وأخذت الأوراق وجاءتنا بها الأمر يحتاج يا سيدتي إلى تثبت وقلت لها وللمندوب : واذا تأكدنا يا حضرة المندوب من صحة النسب وان هذه امه سنقبل به ابننا

قالت مارسيل معجبة ببعد نظر المهندس : صدقت يا حضرة المهندس عليكم التثبت من كل شيء قبل الذهاب للمحاكم فالمحاكم ستطلب كل الوثائق وربما تطلب تحاليلها الخاصة بها

ـ سنقوم بعرض العينات على ثلاث مختبرات قلت لهم .. فقال : وقال المندوب وهو يتناول القهوة من الخادم : وهذه المدة أين ستكون المرأة ؟

فأجبته : لدينا أيها الفاضل فنادق مستثمرة فستكون معززة مكرمة مع ولدها وتأكل وتشرب بدون فلس واحد ، وشرب المندوب القهوة وقال للمرأة منصرفا : أنت في رعاية المدير واي

حاجة عودي للسفارة ، وحرج المندوب شاكرا قال المهندس : هذه القصة أيتها السيدات !
وبعد صمت : ها أنا أعدت الكلام يا سيدة دميانا الكلام أمام أرملة أخي صعب شفيق واختها هل من إضافة أو تعليق ؟

ولزمت الصمت فقال : جيد ! وستذهب بكم جيفارا ومارسيل لشراء افضل الثياب لك ولابنك وانا قد كتبت تلفون ورقم المندوب قد نحتاجه لأي طارئ ولنطلعه على كل التفاصيل ونتائج الاختبارات

واخرج من جيبة رزمة من المال وأعطاها لجيفارا وقال : اشتر لهم كل ما يلزم ولك ولأختك هدية مني يا سيدة مارسيل .

وأعطاها بطاقة عليها تلفون الفندق ومكانه ، ثم اجلس أبناء أخيه على حجره وعناق هنا وآخر هناك وسأل عن أمور المدرسة ورحب بمارسيل وسمع بقصة طلاقها ثم غادرن الفيلا وبصحبتهن المرأة والشاب الصغير الذي ظل صامتا طوال الجلسة سواء في مكتب الشركة أو صالة الفيلا

***

قامت جيفارا ومارسيل بشراء ثياب للمرأة وابنها ابن صعب ولأنفسهما ولبسمة وصعب وتحدثتا عن حياتهما في بيروت وأعادت المرأة قصة تعرفها على صعب ثم كيف تزوجته وعاشت معه عدة شهور ثم حدث الحمل وحدث الفراق والهرب ، ولم تضف شيئا اكثر مما سمعتاه من المهندس ، وبعد تناولهم العشاء في مطعم كبير ذهبت بهما للفندق واستقبلهم الموظف بكل لطف ولما عرفا غرفتهما قالت جيفارا: اذا احتجما لأي شيء مهما كان فاتصلي بالموظف في الاستقبال وزيادة هذا رقم هاتفي . وكتبت ورقة من أوراق الفندق عليها رقم بيتها

قالت دميانا : صعب ميت !

ـ نعم ، مات من سنوات، وكان زوجي وتزوجنا هنا فأنا من هذه البلاد لست بيروتية ، وعشت مثله في لبنان ، ثم عدت لبلدي هذه مثله .. فنحن من أبناء هذا الوطن

ـ شكرا لكما على لطفكما .. ابني لا يحب الكلام

ـ هل درس في المدارس ؟

ـ درس فهو في الإعدادية السنة الثالثة

ـ سيهتم به أعمامه فهم ميسورون اذا ثبت النسب بينه وبينهم

ـ سيثبت بإذن الله

قالت مارسيل : من دلك على أخيه ووطنه وأنت في لبنان ؟

قالت : كنت اعرف بعض زملاء المكتب عرفني عليهم فترة زواجنا .. التقيت بأحدهم من سنة مضت ، فقال لي الرجل محبوس في الشام ، لم يعلموا بخروجه كما فهمت منكم وزواجه منك ، فذكرت له مأساتي معه فكأنه أشفق عليّ أو على الولد فقال لي اسم هذا البلد واسم أخيه الكبير فهم يعرفونه وما زال مكتبهم موجود قرب المخيم

فقالت مارسيل : هم ظنوا انه لن يخرج من السجن أو مات فيه .. نلتقي قريبا .. سيقوم المهندس بالاهتمام بكم فهو ابن أخيهم ورحم الله زوجك زوج بيروت

ـ لم اكن اعلم بخروجه من السجن والعودة لوطنه ؛ لكني من اجل ابني ظللت ابحث عن أهله وقد سهل الله الطريق ووصلت اليهم

***

من اليوم التالي بدأ محمود عملية التثبت من الحقيقة وصحة القصة فقامت المرأة بتقديم عينات لمختبر الجينات هي وابنها ، وقدم محمود عينة وفيما بعد ستؤخذ عينة من بسمة عينة دم للمقارنة فهي ابنة صلبية لصعب ، وكلف محاميا بالتثبت من وثيقة الزواج ، ولم تكن مزيفة وكذلك شهادة الميلاد ، ولم يكن صعبا الحصول على نسخ من عقود الزواج رغم الحرب المدمرة ، فكانت تلك المراكز تعمل سجلات احتياطية وتنقلها للخارج ، وتطابقت الأوراق مع صور تلك العقود والشهادات ، وجاءت اختبارات الجينات تؤكد نسب الشاب لصعب ، وذهبوا لمختبر اكثر شهرة وتحليلا ، واكد النتائج السابقة ، فتقدم المهندس للمحاكم المختصة بقضايا النسب وقاموا

هم بالإجراءات القانونية التي أكدت النتائج السابقة ، فاعترفت العائلة بأبوة صعب للشاب ابن دميانا ؛ حيث ثبت أيضا أنها امه الحقيقية ولم تكن أما مزيفة ، وأسكنهم المهندس في شقة مستأجرة لحين أن يكبر الابن ليكون له ولوالدته بيت خاص بهم ، ويسجل باسمه ، وسيقدم لهم مالا شهريا للعيش بكرامة وكل ما يحتاجونه يتصلون به أو بجيفارا زوجة أبيه الشرعية .

***

ارسل المهندس رجلا اكبر من مارسيل بسنوات ليجلس معها واذا تفاهما يتزوجان على شرع الله ، وكان في الفترة نفسها نضال تقدم إليها خاطبا مما اربك جيفارا ومارسيل ، جيفارا فضلت نضالا ابن العم والمعروف لهما ، ومارسيل فضلت عريس محمود فقالت :العرسان يهلون سوية قالت جيفارا : اذا تريدون الأولاد تزوجي عريس محمود فهو اصغر من نضال واذا ما زلت ضد الإنجاب فعليك بنضال فلا أطفال عنده

ضحكت مارسيل وقالت : فكرة جميلة !

استقبلت المرأتان عريس محمود عصرا ، وهو يحمل اسم منذر وبعد التعارف قال : المهندس حدثني عنك ومدحك وانا تحت أي سؤال .

قالت جيفارا : كيف تعرف المهندس ؟

ـ عملت مهندسا في الشركة معهم ، ثم تغربت إلى الخليج بضع سنوات ثم عدت للشركة

قالت مارسيل : هل تزوجت من قبل ؟

ـ تزوجت ، وعلمت انك تزوجت زوجا قتل في لبنان ، ثم تزوجت فرنسيا وانفصلت عنه

قالت جيفارا : من قال هذه المعلومات ؟

ـ المهندس فهو يعرفها قال لي منك

تذكرت أنها حدثته عن أختها فسكتت فقالت مارسيل : أين زوجتك ؟

ـ تزوجت مرة أثناء عملي هناك ورفضت العودة معي للبلد فتركتها مطلقة وعدت

ـ هل هي من أهل البلد هذا ؟

ـ هي من بلدنا هذه ؛ ولكن والدها هناك من عقود وحصل على جنسية ذلك البلد ويأتون زيارات فقط .. لذلك فضلت البقاء بين أهلها

ـ أنت مهندس وتعمل مع أبي شفيق

ـ في احدى شركاته .. هو له اكثر من شركة

قالت مارسيل : هناك قريب لي تقدم لي في هذه الفترة وانا أفضلك ؛ لأنك اصغر سنا منه .. أنا عندي سبعة وثلاثين سنة

ـ مثل عمري ربما بيننا اشهر

ـ هل عندك خلفة من مطلقتك ؟

ـ ولد واحد

ـ أنا لا احب الخلفة ما تقول؟

ـ لماذا لا تحبين الخلفة ؟!

ـ لا ادري العلة !.. لذلك فكر بذلك فإذا رأيت ذلك مناسبا لك فسأفضلك على قريبي .. فهو لا ينجب تزوج اكثر من مرة فلم ينجب

ـ حسنا سأفكر بفكرة عدم الخلفة !

تمت القصة بفضل الله تعالى

المحتويات


{هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك

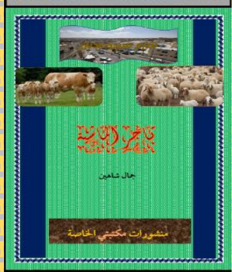




٢
غربة مهرب

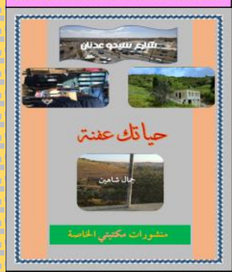
٣
زوجتك ابنتي

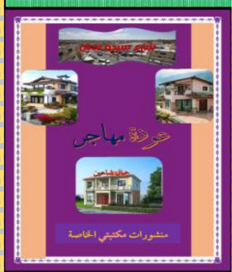




٤
تاجر الماشية

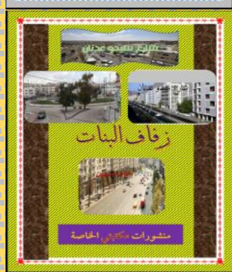
٥
حياتك عفنة

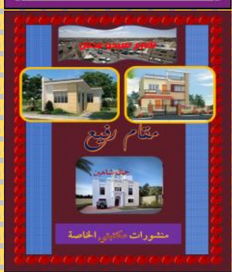




٦
عودة مهاجر

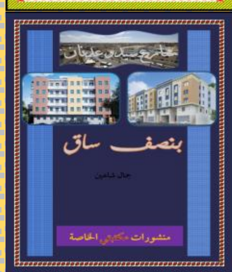
٧
زفاف البنات





٨
مقام رفيع

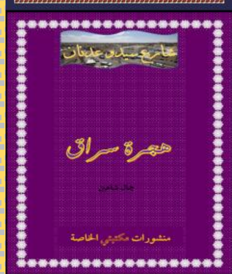
٩
بنصف ساق





١٠
ميراث البحار

١١
هجرة سراق





١٢
عضو البرلمان

شارع سيدو عدنان

٩

عرفت صعبا عندما أصيب اثر انفجار في جنوب لبنان ، ونقل لبيروت جريحا ، وقد فقد الشاب نصف ساقه اليمنى ، عرفته أثناء تردده على عيادة الإغاثة في المخيم ، واهتممت به بتوصية من أبي المحامي والمناضل فارس وصديقه عم صعب ، وكان يتردد على العيادة لتغيير



الضمادات ، وكان يعمل بوابا على احد مكاتب الجبهة في البراجنة المخيم ، ثم رحل للشام فجأة واختفت أخباره كغيره من الشباب المناضل .

حين فقد والدي ساقيه ، وقد فقدت زوجين في بيروت ، وكذلك أختاي الأصغر ، وضاع ولدي الوحيد ياقوت ذهب الوالد للعلاج في الشام ، وبعد تحسن صحته قليلا عاد لوطنه معاقا ومصابا وعدنا كلنا معه وكنت وأختاي نعمل في التمريض كما كنا في بيروت ، ذات ليلة استقبل والدي ابن عم لنا كان معنا أثناء الحياة في النضال والمعارك في لبنان ، وعلمنا منه أن صعبا عاد مثلنا للبلد ، وقد نجا من سجون البعث السورية كابن عمنا المناضل والسجين ، وان صعبا يبحث عن زوجة فكنت أنا المختارة ، وبعد رفض مؤلم من قبل أمي تزوجته وولدت منه ابنة ثم ابنا وترملت على اثر مقتله بحادث سيارة دامي .. وبعد موته اكتشفنا أن له ابنا آخر أثناء عيشه في بيروت .. جيفارا فارس